٥٢٦

526

قلوب عبير

HARLEQUIN

www.liilas.com

القدر القاسي

اماندا برونتغ

القدر القاسي

اماندا برونتغ

قبل خمس سنوات، تزوج بيرم من البكس ليبوم لسبب وحيد هو [illegible] وماذا؟ الآن، كانت طريقه للوصول إلى أسطول من السفن التجارية. وها هو قد عاد الآن متطلباً كما كان دائماً. انها مضطرة للزواج منه لتساعد والدها، ومرة أخرى لم يكن لديها خيار آخر، لكن هذه المرة كانت الأمور مختلفة. في ما مضى، كانت تحبه، لكنها الآن تكرهه، ومهما حدث لن تثق به ثانية.

www.liilas.com

١٠ ريالات

الفصل الأول

نزلت أليكس بتراكوس من سيارة الأجرة بانتباه، واخذت لحظة كانت بحاجة ماسة لها كي تشد كتفيها قبل أن تبدأ رحلتها في صعود السلالم إلى باب الفندق المتلألىء بالأضواء. كان هناك حفل راقص، ورغم انها كانت تتطلع لذلك بشوق في مناسبة اخرى، إلا أن الليلة لم تكن مهيأة للمرح. كانت تعبة جداً. لقد كان يوماً مميزاً طويلاً وغير مثمر بعد سيل من الأيام الطويلة غير المثمرة، ولو انها لم تكن مستعدة للاستسلام على ما تتطلب الظروف من انها قد حضرت حفلة الاحسان هذه، لكانت بقيت في المنزل.

ساعدها واحد من الخدم على خلع معطفها، اخذت نفساً عميقاً قبل أن تتجه إلى غرفة الرقص، بشخصها الطويل النحيل الذي يمكن أن يكون قد خرج للتو من صفحات احدى مجلات الأزياء. مع ذلك، ورغم ان ثوب السهرة الذي كانت ترتديه من تصميم سان لوران، وحذاءها من صنع ايطالي يدوي ومجوهراتها من مصنوعات كارتييه، كانت أليكس تعرف ان ايامهم معدودة ما لم تستطع ان تجد الدعم المالي الذي تحتاجه اعمال العائلة بشدة، فإن كل شيء سيذهب. وليس سبب ذلك انها قد تكون تضحية بارزة بغيضة، فهي لم تكن متيّمة بالموضة الراقية والطبقة التي تدل عليها. لا، انما الأمر المحزن هو ان ممتلكات العائلة

كلها ان جمعت لن تكفي إلا إلى تسديد القليل من جبل الديون.

توقفت لبرهة بعد مدخل الغرفة مباشرة، والقت نظرة عامة على الغرفة المكتظة، ولم تفاجأ حين عرفت العديد من الوجوه المتواجدة هناك. انها، في الواقع، قد امضت ساعات طويلة خلال الاسابيع القليلة الماضية تتحدث اليهم. الان، اولئك الذين شهدوا وصولها سارعوا إلى الابتعاد، وسارعوا ايضاً إلى نشر اخبار الضيق المالي الذي تمر به عائلتها باصوات منخفضة.

جعلها ذلك تشد على شفتيها اللتين اظهرتا مدى الضيق المرتسم على وجهها الرقيق، الأمر الذي كان ملائماً مع [illegible] لاظهرتها قصة شعرها الحديثة، فقد كانت قصة [illegible] تناسبها تماماً. وسارت إلى داخل الغرفة [illegible] جميع من فيها.

[illegible] هي طبيعية لتحضر نفسها لخوض عصير، ردّت على تحيات اولئك الذين ما زالوا يتمتعون بشجاعة كافية لان تلتقي عيونهم بعينيها، وهم يبتسمون ابتسامة متهكمة باهتة. اوه، لقد كان كل شيء مختلفاً قبل ستة شهور، مختلف جداً. الان لقد انهار المظهر الكاذب وعليها ان تتعامل مع ما ترتب على تصرفات والدها غير الحكيمة. مع ذلك مهما اعتقد هؤلاء الناس، فانها لن تجعل ابداً التصرفات السيئة تزعجها هنا.

«لا تنظاهري بالدهشة لهذه الدرجة.» كان ذلك صوت تردد من جانبها بسخرية، واضاف: «انها العادة قديمة للفئران ان تغادر السفينة الغارقة بعد اصطدامها بالصخور.»

تلك اللهجة الرنانة المنخفضة هزّت اعصابها، وشعرت

أليكس للحظة واحدة بالغثيان، ان الغرفة تدور من حولها، ثم تجمد الدم في عروقها واشتدت عضلاتها، وبدا انها بذلت كل ذرة من قوتها لتدير رأسها كي تواجه صاحب الصوت، لانها عرفت من ستراى.

اجابته بسرعة: «مفسحة المجال للنسور كي تنقض وتلتقط الهيكل البالي.» وقد ادهشها كم بدا صوتها ثابتاً، فيما رؤية الرجل الذي قدم بهدوء تام ليقف بجانبها جعل قلبها يخفق بشكل مفزع. واضافت: «لماذا الدي شعور ان قول امر غريب رؤيتك هنا، بالكاد يكون ملائماً؟ فقد سمعت ان الفرش يمكنه ان يشتم رائحة الدماء عن بعد اميال كثيرة.»

دون ان تابه ان كانت قد مزجت بين استعارات ام لا. فقد كان هناك سؤال واحد يدور في رأسها: ماذا كان يفعل هنا؟

ابتسم لها بيرس مارتينو، ابتسامة كسولة طويلة، قائلاً: «لقد اصبح عملك مغالب، يا أليكس، الأمر الذي لا يثير دهشتي، لكنك كما القطة الصغيرة تماماً، عليك بعد أن تتعلمي متى يجب أن تنشبي اظافرك.»

لسعتها تلك اللهجة الساخرة، وتذكرتها كم كانت ضعيفة ذات يوم. مع ذلك، فإن تلك الأيام مضت منذ زمن طويل، وقد ارتفع جدار عظيم للحماية. فقالت: «في ما يختص بي، ان ذلك يحدث دائماً في كل آوان يا مارتينو.» سمحت لنفسها ان تظهر، راغبة ان تصفعه على الفور.

رفع احد حاجبيه السوداوين، ونصحها قائلاً ببرودة: «هل تستقبلين دائماً صديقاً قديماً بهذا الذم لامعة؟ اعترف ان لها قيمة البدع، لكن قد يكون من الحكمة اكثر ان تضعي سلاحك جانباً، يا أليكس. فالعدو لا يرتدي هذه الأيام قبعة

www.liias.com

سوداء. رغم كل ما تعرفينه، يمكن أن تطلقي النار على حليف.»

قالت: محليفه خرجت الكلمة باشمئزاز كبير. ثم اضافت بعنف: لم تكن كذلك قط. ولن تستطيع ان تكون كذلك. انك العدو يا بيرس، وكونك كذلك، ليس عندي لك شيء سوى الإزدراء.» كان عليها ان تعرف انه قد يقول شيئاً كهذا. بدا لها انه لم يعد يتذكر كل ما كان، وان ما طبع في ذاكرته اقتصر على اشياء محددة، فيما كان كل شيء مطبوعاً بوضوح في ذاكرتها. قالت له: «اخشى انه عليك ان تعذرني الآن. فكما ترى لقد اصبحت حسنة التمييز في اختيار اصدقائي هذه الأيام.» ومع تلك العبارة استدارت بحدة وسارت بعيداً عنه وساقيها تكاد ان تنهار تحتها مع كل خطوة.

لم تكن لديها فكرة واضحة إلى اي مكان تتجه انما [illegible] الانتظار حيث لا مخرج اخر منها. توقفت حينها، حيث اكتشفت ان كل اوصالها ترتجف. لِمَ كان عليه ان يكون هنا؟ ألم يكفه ما فعله؟ انها تكرهه، تكرهه بقدر ما أحبته في يوم من الأيام، بمشاعر عميقة لا تعرف الحدود.

أحنت أليكس رأسها، وشعرت بمعدتها تعتصر. ما زال بيرس مارتينو يملك كل شيء، ما زالت لديه تلك النظرة التي تجعل قلب المرأة يخفق بجنون. ذات مرة، جعلت تلك النظرات قلبها يطير. حيث لم تكن محصنة تجاه الشعر الأسود الكثيف اللامع، ولا تجاه العينين الثاقبتين الزرقاوين، ولا تجاه الوجنتين المظللتين بالغموض اللتين تحيطان بذلك الفم

الجميل، كانت أناقته وثقته بنفسه تشعان وكأنها منارة، فتشدانها، كما العديد من الفراشات الأخرى، للرقص ضمن نطاق حرارتها الخطرة وتألقها. كان يشربها الشراب ويطعمها الطعام، ويعاملها بطريقة لكدت لقلبها الغارق في حبه انه يحبها هو ايضاً.

شعرت بالمرارة وكأنها قرح على لسانها، ودون وعي منها ضغطت بشدة بيدها على الكوب الذي كان مايزال في يدها. لقد حوّل ذلك الحب إلى كراهية باكانيه. لأن ذلك كله كان كذباً! كل شيء، من البداية حتى النهاية! وقاطع تحطم الكوب ذكرياتها الغاضبة، وقد اتبع ذلك على الفور صرخة رقيقة من الألم انطلقت منها. سقط الكوب المكسور من يدها، وحدقت بالدماء تحت الدماء التي سالت بسرعة على راحة يدها.

عندها فقط لاحظت انها لم تكن في الغرفة لوحدها.

«هل جرحت نفسك؟ دعيني ارى.» لا بد ان بيرس قفزها، وتقدم نحوها الان بسرعة وامسك بيدها وتفحصها قبل ان تتاح لها الفرصة ان تسحبها بعيداً.

ارتعدت أليكس، حيث وجدت نفسها فجأة تحدق في رأسه المنحني. اعادت اليها تموجات شعره الأسود الكثيف ذكريات، اعتقدت انها دفنت بأمان. شهقت بحدة، فقط لتتقذف احاسيسها برائحة عطره النافذة منه. ثم، وكأنما لزيادة الاهانة إلى الأذى، ارسلت لمسته في ذراعها شيئاً يشبه صدمة كهربائية، ارعبتها ردة فعلها هذه غير المتوقعة وغير المرغوب بها كلياً، فتجمدت مرتبكة، وعقلها يصرخ في صمت لا!

www.liilas.com

سوف تعيشين.»

كلمات بيرس سلختها من صدمتها، وتأخيره البسيط في رفع نظره اتاح لها فرصة كافية لتعيد السيطرة على تعابير وجهها، كي لا تظهر مدى تأثرها.

قال: «انه اكبر من خدش بقليل. ويبدو نظيفاً.» نظر إليها اضاف: «ماذا كنت تتخيلين الكوب، عنقي؟»

بذلت كل جهدها، لكنها لم تستطع ان تحتمل تلك النظرة، وبسرعة ابعدت عينيها عن نظرات السخرية الظاهرة في هاتين الفجوتين الزرقاوين. ووقعت نظرات عينيها على يدها، واكتشفت انه قد ضمدها بمنديله. كان هناك اثار دماء على المنديل الأبيض النقي. دماؤها. دائماً هناك اثار لدمائها عندما يتعلق بيرس حياتها! أثبت لمارات الاستعراض وتبجحت لحظة الوعي تلك مع دياج كنكريات الكنية القاسية.

قالت له ببرودة: «إن كان هناك رجل يستحق قطع عنقه، فهو أنت.»

كانت ردة فعل بيرس الوحيدة الضحك باستهتار، وأجابها: «كثيرات حاولن ذلك، وما من واحدة نجحت.»

ابتسمت أليكس ابتسامة باهتة لغروره الواضح وقالت: «غرور كهذا لا بد ان يتحطم. اتمنى فقط ان اكون موجودة لأشهد ذلك.»

للحظة، ومض في عينيه وميض غريب قد يكون ندماً، لكنه اختفى قبل ان تستطيع اثبات ذلك. ردّ عليها قائلاً: «ذلك إرث تتوارثه، الا تعتقدين ان هذا هو اساس صنع المأساة اليونانية التقليدية؟ حيث الزوجات الحاقدات يخططن

لاسقاط ازواجهن. هل سترقصين على ضريحي، يا أليكس؟»

كان يعبث معها، لكنها رفضت ان تلعب لعبته فردت عليه بسرعة: «زوجتك السابقة!» وعندما اعتصر قلبها بحدة، حتى هي نفسها لم تستطع ان تدرك ماهية المشاعر التي عصفت بها في تلك اللحظة.

احنى بيرس رأسه مسلماً بذلك بسخرية وكأنه لم يكن يتوقع اي جواب اخر وقال لها: «تقولين ذلك بخفة ظاهرة.»

رفعت ذقنها على الفور، وتلألأت عيناها، فيما قالت: «كان اسعد يوم في حياتي!»

ان كانت تأمل ان تجرحه، فإن هدفها ضلّ سبيله بشكل واضح. نكزها قائلاً بعذوبة: «غريب، انكر انك قلت هذا يوم زفافنا.»

اضطرارها للاعتراف كيف بإمكانه ان يجعلها تنفعل حتى في هذا الوقت، جعلها غاضبة بشكل جنوني من نفسها كما منه، لاستذكارها كل تلك الاوقات السعيدة بوضوح تام.

اجابته: «لم اكن اعرف حينها اي سافل انت.»

كل تعابير المرح غابت عن وجهه فجأة. وقال: «كان يجب ان يحصل ما حصل، عليك ان تتفهمي ذلك.»

غامت عيناها الرماديتان بعواطف متاججة. وكان بإمكانه ان يقرأ فيهما مدى كراهيتها له. وقالت: «لن افهم ذلك اطلاقاً، ولن أصفح عنك أبداً. ساكرهك حتى آخر يوم في حياتي!»

اتسعت فتحتا انفه عندما اخذ نفساً عميقاً وقال: «ابداً، هو وقت طويل، قد يصبح لديك يومها سبب لتشكريني.»

www.liilas.com

تطلب الأمر منها بذل كل ذرة من السيطرة على نفسها لتمنعها من الوثب عليه وتمزيقه إرباً. فقد كان امراً مزعجاً مجرد امكانيته للوصول اليها. وإنها في اللحظة التي ستفقد بها السيطرة على نفسها، سيفوز هو وذلك امر عليها تحاشيه مهما كلف ذلك، لذا اجابته بعفوية: «علام؟! ألقتلك جدي؟»

لا بد ان شوكتها غرزت في نقطة رقيقة، لأن بيرس تقدم بخطوة غاضبة نحوها، ثم سيطر على نفسه بجهد واضح، وقال لها برباطة جاش: «لا تلقي اللوم علي بذلك يا أليكس. لقد كان رجلاً عجوزاً، آثر بذلك، لكنه عاش لسنوات عدة بعد أن التقيته لآخر مرة.»

ارتجفت شفتيها من الغضب والحزن معاً فضغطت عليهما ثم اجابته: «ربما كان الأمر كذلك لكنك أخذت بصوته بأخذك كل شيء قال على قيد.»

تصلب بكبرياء غاضب، وتقززت عيناه الزرقاوان وكأنهما فقدتا الحياة تقريباً. واجابها: «لم آخذ شيئاً لم يكن لي بحكم الحق، وعوضاً عن ذلك تركتك له.»

ضحكت أليكس بتكلف. لقد ترك جسداً، جسد امرأة محطمة! قالت له: «ذلك لص، وقاتل، ولنا احتقرك.»

بدا وجهه وكأنه قطعة النحتت من حجر، واصبحت هادئة جداً في ما قال: «شعري الاحتقار جانباً، لكني مازلت املك شيئاً تريدينه.»

أجابته: «اقطع يدي قبل ان تمتد لقبول اي شيء منك يا بيرس مارتينو!»

عادت الابتسامة لترتسم على شفتيه لكنها كانت باردة

وقاسية، وقال: «انت دائماً ماساوية جداً. لقد نسيت اية مخلوقة عاطفية أنت.»

لديه الوقاحة فقط ليذكرها باستجابتها المطلقة له، استجابة استغلها من اجل مصلحته الشخصية، لقد كانت غبية حينها، لكن ذلك لن يحصل ثانية. قالت له بايجاز بليغ: «لك على حق، لدي شيء علي ان اشكرك لأجله، تعليمي درساً قيماً، درساً لن انساه ابداً.»

قال برقة: «إن كنت استاذاً جيداً، فانت كنت تلميذة راغبة بالتعلم بشدة.» متعمداً عدم فهم ما رمت إليه، ثم اضاف: «يبدو ان ذلك قد افادك، ايضاً، إذ، انك تبدين اكثر جمالاً مما اذكر.»

صرت أليكس على اسنانها بغضب، الواقع انه تزوج من فتاة بريئة، وكان ذلك امراً وجدت صعوبة في التأقلم معه، بالنظر لم تبعه اعتصرت معدتها لاتهام احساسه إذ عمل على تذكيرها بذلك الآن، فقالت: «اتمنى ان لا تتوقع مني أن اشكرك على ثنائك. لأنه، بصراحة تامة، سيخنقني لفظ تلك الكلمات.»

رقصت عيناه، وقال: «ذلك لن يفي بالغرض ابداً. ربما علي التوقف قبل ان تصابي بسكتة قلبية،لكني لا استطيع مقاومة ذلك. تعجبني قصة شعرك هكذا، انها تجعلك تبدين انيقة وحساسة في آن معاً. عمل رائع. متى قصصته؟»

اجابته: «في الواقع، لقد قصصته لأول مرة منذ خمس سنوات!» وتركته يستنتج ما يريد من وراء ذلك.

لم يكن بيرس بطيء الفهم قط، وقد فهم الآن ما قصدته على الفور. فقال لها: «آه، مع كل ما هو قديم، واهلا بكل

www.liilas.com

جديد... كنت معجباً جداً بشعرك الطويل الأسود، كنت احلم في غمر اصابعي والامساك به.»

كادت ان تختنق حينها، لأنها كانت تقريباً تحلم الاحلام ذاتها عنه، حتى بعد ان انتهى الزواج بفترة طويلة. كانت الذكرى الآن تبدو كقطعة جليد حول قلبها. فقالت: «ذلك هو السبب الذي جعلني أقصه تماماً.» واضافت محاولة ان تعيده إلى حقيقة قدره: «لم ارد ان يبقى شيء يذكرني بك.»

لفّ بيرس ذراعيه، وتأملها بتهكم قائلاً: «ومع ذلك لم تنسي، على ما يبدو. لهذا السبب انت وحيدة هنا الليلة؟»

شهقت بحدة. ليس هناك من رجل آخر مثل بيرس يطرح اسئلة بفوارق دقيقة في المعنى. لم تكن تدري من قبل الآخرين الجابة: «يمكنك ان تحرر نفسك من فكرة ان لك اية صلة في حياتي الآن. اني هنا لأنني اريد ان والدي مريض، وعلى الأرجح انك تعرف ذلك جيداً. لكنّا اتينا كعائلة مجتمعة، لكن عوضاً عن ذلك اتيت بمفردي. هل يرضي ذلك فضولك؟»

اجابها: «ليس تماماً. هل جميع الرجال في انكلترا عميان؟ الم يكن هناك احد ما غيره ليرافقك؟»

اتخذت وضع المقاتل، وسألته: «ماذا تريد ان تعرف بالضبط يا بيرس، حالة حياتي العاطفية؟»

اجابها: «نظراً لحالتك المتوقدة، استطيع القول انك لم تحصلي على فرصة واحدة، او ان اسلوبه سيء جداً فتركك محبطة.»

سألته: «كيف تجرؤ؟»

«أيعني ذلك أنني مخطىء أم انني على صواب؟»

أجابته بغضب: «ذلك يعني ان وقاحتك ثقيلة، وليس في نيتي الإجابة عن سؤال شخصي كهذا.»

ضحك ثم قال لها: «اعتقد انك فعلت هذا للتو. على أي حال، ان لم يكن الرجال قد شغلوا وقتك، فماذا كنت تفعلين طوال السنوات الخمس الماضية؟»

أجابته: «يسعدني القول اني كنت اتقدم بشكل رائع بدونك.»

اجابها موافقاً: «هذا ما اراه.» وبقليل من الصعوبة ثمن ملابسها ومجوهراتها ثم اضاف ساخراً: «انك تعيشين فوق ما هو متاح لك. من دفع ثمنها جميعها، والدك؟»

انتفضت احمراراً من جديد، واجابته بحدة: «غير صحيح. اني اكسب المال لأدفع ثمن ملابسي، وذلك من خلال العمل الذي اقوم به. هي هدية لذكرى مولدي الواحد والعشرون، ولا أظنك تتمنّ علي ذلك.»

قال بتهكم: «متكلمين وكأنك لبوة تدافع عن أشبالها.»

أجابته: «طبعاً لا؟ ربما انك تستمتع بضرب الناس فيما هم في الحضيض ولا يستطيعون الدفاع عن انفسهم، اما انا فلا. وفي الحقيقة، اني لا احب حتى مصادقة الناس هكذا. لذا ان كنت لا تمانع...» ابتسمت له ابتسامة باردة، وكادت ان تعرّ من أمامه، إلا أن يده امتدت لتمسك بيدها وتؤخر مغادرتها.

«ليس بهذه السرعة. مازال علينا التحدث.»

حاولت ان تبعده عنها، لكنه قاوم ذلك دون بذل اي جهد، وكل ما استطاعت القيام به هو ان ترمقه بنظرة قاسية قاتلة

يفتور: «بقدر ما يعنيني الأمر، لقد قلنا اكثر مما ينبغي.»

www.liilas.com

هزّ بيرس رأسه قائلاً: «يا عزيزتي، لم نبدأ بالحديث بعد، لكنك محقة. ليس هذا هو الوقت أو المكان المناسبين. ساكون في مكتبك صباح الغد عند الساعة العاشرة.»

«يمكنك ان تأتي، لكنني لن اراك. فلدي مواعيد طوال اليوم وكذلك في المستقبل المنظور.»

أفلت معصمها، لكن فقط ليرفع يده ليمسك بذقنها، ليرغمها على التحديق به قائلاً: «تفرغي لذلك! وان لم يكن هذا تحذيراً كافياً، توقفي عن التفكير بنفسك وابدأي التفكير بشأن موظفيك بدلاً من ذلك. قد تكون هذه ربما فرصتك الأخيرة في انقاذ وظائفهم. ان الأمر على عاتقك يا أليكس. هل يمكن تحمل نتائج كبريائك؟» واستمر تحديق عينيه في عينيها للحظة اطول، معلقاً سراحها من بعدها وهو يعدها بقوله: «حتى نهار الغد.» غادر الغرفة بابتسامة من رأسه.

راقبت قامته المديدة وكتفيه العريضتين وهو يمشي مبتعداً، فيما كانت تغلي من شدة الغضب الهادر. كم تمنّت ان تقول له اغرب عن وجهي، لكن كلماته اوقفتها، حيث كانت متأكدة من ان كلماته قد تمنعها. لقد عرف أيضاً انها سوف تراه في الغد، من اجل الوظائف العديدة التي كانت تحاول بصعوبة انقاذها، لكن دون أن يحالفها النجاح. طعم الفشل كان شيئاً كريهاً يجب أن تبتلعه الآن. ها هو بيرس يلمح انه قد يكون مستعداً لفعل شيء ما، وبالرغم من انها تكرهه، كانت تعرف انه لا يمكنها ان تصده.

غادرت الحفلة باكراً، لكنها لم تذهب مباشرة إلى المنزل، بل استقلت سيارة أجرة إلى مستشفى لندن حيث كان

ستيفن بترلكوس ما زال في غرفة العناية الفائقة. فقد عانى منذ ثلاثة اسابيع مضت من نوبة قلبية حادة، وقد سبقتها نوبة اقل حدة. كان بقاؤه على قيد الحياة أشبه بأعجوبة. كانت حياته معلقة في الميزان عندما اكتشفت حالة شؤون دار النشر المحفوفة بالمخاطر. فيما كان الأطباء يكسبون ببطء معركة بقاء والدها على قيد الحياة، كانت هي ما تنزال تحاول انقاذ شركته.

تطلعت أمها التي كانت تحيك الصوف بصنارتها نحوها، عندما دخلت أليكس إلى الغرفة. وقد رسمت المرأة الضعيفة ذات الوجه الشاحب الصغير ابتسامة مرحبة عند رؤية ابنتها قائلة: «مرحباً، يا عزيزتي، هل امضيت وقتاً طيباً؟»

انحنت أليكس لتطبع قبلة على الخد الناعم. كانت إصابة بترلكوس امرأة من النوع الذي يضفي طبيعتها الحلوة حماية من حولها، وليس اكثر من الحماية التي تقدمها لعائلتها. واصبح امرأ غريزياً لديها وقبل مرض والدها بزمن طويل. ان تحمي أمها من الجانب القاسي جداً في الحياة. وسبب ذلك هو الفوضى التي تكافح بيأس لتسويتها الآن. لكن رغم ان والدتها كانت تشتبه بالتأكيد ان هناك شيء ما، وطالما أن والدها لم يخبر زوجته بشيء، إذاً فانها لا تستطيع ان تقول لها شيئاً ايضاً. الأمر الذي جعل أليكس الآن ترسم على وجهها ابتسامة فرحة.

أجابتها: «أوه، انت تعرفين كيف تجري هذه الحفلات. كان سبب القامتها وجيهاً. كيف حال والدي؟»

تنهدت امها مجيبة: «انه نائم الآن، لكنه كان متعباً جداً

www.liilas.com

قبل ذلك. اتمنى لو انه يخبرنا ما الأمر.» وأخذت تلوك شفتها باهتمام، ودون ان تدري لكمت شكوك ابنتها.

عانقتها أليكس، قائلة: «حاولي ان لا تقلقي، يا أماه. انت تعرفين كم يكره والدي ان يكون مريضاً خاصة عندما يبعده المرض عن اعماله. على اية حال، انني اسيطر على الأمور مؤقتاً، واعتقد انني قد احمل إليه اخباراً جميلة في القريب العاجل.» وتوسلت في قرارة نفسها آملة بيأس ان يكون ذلك صحيحاً.

قالت إميلي بتراكوس وهي تبتسم: «انك قوية يا أليكس. ولا أحد يعلم مانا كنت لأفعل من دونك.» ثم زالت ابتسامتها ليحل محلها التجهم وهي تضيف: «لكنك تبدين متعبة يا عزيزتي. الا تنامين؟»

كان اليوم اسوأ انتدار امنه الأيام، وحتى حينما كانت تغفو قليلاً كانت احلامها مزعجة. إلا انها ما كانت لتعترف بذلك لأمها. لذا قالت: «انني بخير. كل ما في الأمر ان اليوم كان يوماً مرهقاً. انوي ان اذهب إلى الفراش مباشرة عندما اصل إلى المنزل. لا تنسي ان تنامي قليلاً انت ايضاً يا أمي. انت تعرفين أن رؤيتك قلقة ستحزن والدي كثيراً.»

اجابتها: «انت تجعلينني ابدو كدواء»

ضحكت أليكس برقة، وقالت: «انك كذلك، وافضل دواء يمكنه الحصول عليه.» تظاهرت بالتثاؤب، نظرت إلى ساعتها، واضافت، قبل ان تقبل امها مرة اخرى وتغادر: «من الأفضل ان اذهب. سوف امر عليكما غداً. قبلي والدي عني واخبريه ان لا يقلق.»

كانت شقتها تقع قرب النهر في تشيلسي. كانت شقة

صغيرة إلا انها كانت تناسبها تماماً، استأجرتها قبل زواجها القصير جداً، ولأنها رفضت ان تقبل أي مساعدة مالية من مطلقها، كانت سعيدة بالعودة اليها لتتشتد جروحها. دخلت وهي تتنهد بارتياح، ولم تشعر بالأمان الا بعد ان اقفلت المزلاج. بيرس هو من جعلها تشعر هكذا، وكان عليها ان تهرب، وان تستمر في الهروب. سارت نحو غرفة الجلوس، القت بمعطفها على الأريكة وسارت لتسكب لنفسها شراباً منعشاً. كان حضوره صدمة بالنسبة إليها، فهي لم تتوقع ان تراه ثانية بعد الطلاق. ثم فكرت وقد قلبت شفتيها، بعد كل ما جرى، لماذا عاد وقد اخذ كل ما اراده؟

لقد صدقت يوماً انها تجسد تلك الكلمات الثلاث العاطفية التي شاد لاهار مجرد تصميم لهدف واحد. لم تكن سوى اداة. فقد اعد خططه كجنرال في الجيش، خطط لكل شيء، فكانت كل الكلمات الرقيقة ونظرات الحب صفته الحقيقي.

لم تعرف احداً من حياتها قط يستطيع التظاهر على هذا النحو. لقد احبته وصدقت انه يحبها، لكن ذلك ما كان يفترض ان تعتقده. كانت سذاجتها كسوط لروحها المعذبة. كانت في الواحدة والعشرين من عمرها صغيرة بالنسبة إلى عمره، البالغ التاسعة والعشرين والواسع الخبرة، ولولا ذلك ما كان ليتأكد انها ستقع في حبه، فقد كان يعرف ما يكفي عن النساء ليستطيع ان يجعل ذلك الأمر ممكناً بشكل واضح.

اخذت أليكس ترتجف فتقوقعت على كرسي ذات ذراعين، كان بيرس محقاً بشأن حياتها العاطفية، فقد كانت خالية فعلاً. وهل كان هناك أي عجب في ذلك؟ فما قاسته على يديه

www.liilas.com

جعلها تخشى النار كأي انسان مذنب. لن تؤمن أي رجل على سعادتها ثانية. لديها بعض الأصدقاء من الرجال والذين خرجت برفقتهم احياناً، لكن رغم انها كانت تعرف ان بعضهم كان يرغب في توثيق العلاقة اكثر، إلا انها كانت دائماً منتبهة لابقاء مسافة بينها وبينهم.

توقف اصدقاؤها عن سؤالها عن سبب تغيرها بعد عودتها من اميركا عندما تمنعت عن الإجابة، ورغم ذلك استمروا في محاولة ايجاد زوج لها. لكنها في أحسن الأحوال كانت محاولة فاترة، واحترموا رغبتها الخفية بعدم البوح عن خصوصياتها.

اغمضت عينيها. فقد كان ايقاف الأسئلة امر سهل، لكن ايقاف الذكريات كان امراً آخر. كانت المشاهد تراود ذاكرتها الواحد تلو الآخر، لكن ورغم انها كانت تطاردها، فانها حينما كانت تستيقظ صباحاً خلال الشهر الخمس الماضية، ثم اخذت تطول الفترة بينها، حتى انها لم تفكر به منذ فترة طويلة، لكن الليلة عاد كل شيء بقوة.

كان بيرس ذكي جداً ليجعلها تعتقد ما ارادت ان تصدقه، انه يحبها. إلا انه لم يفعل، لقد بدا لها ذلك واضحاً في ساعة قصيرة واحدة. لقد لعب دوره ببراعة فائقة، حتى انها لم تكتشف، الا صباح اليوم الذي تلا زفافهما، ان الرجل الذي تزوجته ليس سوى دجال.

والتقت اخيراً، في اليوم الذي كان يفترض ان يكون بداية حياتهما معاً، بيرس مارتينو الحقيقي...

الفصل الثاني

كان يوماً متعباً من العمل، رغم ان أليكس لا تمانع العمل بجد اطلاقاً. كانت على وشك انهاء فترة ستة أشهر من تبادل العمل، واكتشافها كيف ان شركة مماثلة تماماً تعمل، سوف يمنحها بالتأكيد فائدة كبيرة عند عودتها إلى انكلترا. الآن وقد باتت أسابيع قليلة فقط تفصلها عن المكان، حيث ستستلم وظيفتها كمديرة تنفيذية مبتدئة في اعمال الاعلان والنشر التي اسسها والدها. وكان أصدقاؤها الجدد يشاركون في النشاطات الاجتماعية الليلية بنشاط لا يقل اطلاقاً عن نشاطهم خلال العمل في النهار، ولم تكن هي مقتادة على المشاركة بالنشاطات طوال الوقت. ولهذا السبب كانت تشعر بالتعب، وشكرت حظها لأنها استطاعت ان تتخذ الاستعدادات اللازمة الليلة، للذهاب الى المسرح مع بعض اصدقاء والدها.

كانت المسرحية جميلة جداً. وكانت تناقشها بحماس في البهو خلال فترة الاستراحة الأولى، عندما شعرت بعينين تحدقان بها، كان ذلك الاحساس غريباً. وقد جعل شعر جسمها يقشعر، وشعرت كان تلك العينين المجهولتين تجبرانها على الاستدارة. وفعلت، لأنها لم تستطع ان تمنع نفسها من ذلك، وأخذت عيناها تبحثان بين الحشد للحظات قليلة قبل ان تقعا على عينين زرقاوين مشعتين، بدا انهما اصابتاها حتى اعماق روحها. افترت شفتاها عن شهيدة

www.liilas.com

صامتة فيما بدت غير قادرة على ابعاد عينيها عن الرجل الذي يقف على بعد ياردات قليلة منها، وانطلق بين عيونهما في هذه الثواني القليلة احساس قوي، ثم كلمه احدهم فاسترعى انتباهه، عندها فقط اطلق سراحها.

استدارت أليكس على الفور لتبتعد، لكن دافعاً لا يقاوم جعلها تنظر الى الوراء من فوق كتفها. شعرت ان قلبها يخفق بجنون، ودون ان تشعر ضغطت بيدها على حنجرتها. كان ما يزال يتكلم، ولم تر سوى جانب وجهه فقط لكن حتى ذلك سبب لها حالة من الانزعاج الحذر جعل عضلات معدتها تنكمش. انه الأكثر وسامة بين الرجال الذين رأتهم في حياتها، كانت بذلته تناسبه تماماً، فيما كان واقفاً ويداه في جيبيه سترته. بدا لها وكان الدم في عروقها يخر، وجف ريقها.

وعندما رفعت عينيها المذعورتين رأته يعتذر، وبدأ يتجه نحوها.

نظرت بعيداً للمرة الثانية، لكن التوتر الذي غمرها انذرها باللحظة المحددة التي وقف فيها الى جانبها. كان عقلها قد توقف عن العمل منذ وقت طويل، لكنها سمعت مرافقيها يستقبلونه بسرور. واجابهم بصوت خفيض رقيق، ثم سمعت اسمها، فكان عليها ان تستجمع نفسها بسرعة.

كان روبرت ولز يقول لها بمرح: «أليكس، تريدك ان تتعرفي على صديق طيب لنا، بيرس مارتينو، هذه الشابة انكليزية، وابنة صديق قديم، أليكس بتراكوس.»

مدت أليكس يدها بعفوية، وهي تعرف انها تحدق به

بياس وكأنها مغفلة، قالت له بصوت اجش: «كيف حالك؟»

وشعرت ان التي الذي غمرت يدها، ضغطت عليها قليلاً. كان ذلك وكأنها لمست تياراً كهربائياً.

قابل بيرس مارتينو بصمت تلك النظرة بمثلها للحظة، وخالج أليكس شعور غريب جداً بأنه صدم. ابتسم بعد ذلك وتنحنح قائلاً: «اعذري عدم تهذيبي، لكن لهجتك أربكتني، ناهيك عن جمالك، وهذا كثير على رجل ضعيف.»

حذرتها أوليفيا ولز وهي تضحك قائلة: «احذري، يا أليكس، لدى بيرس سمعة كبيرة: انه الثعلب بحد ذاته.»

ترك بيرس مرغماً يد أليكس، وبقي كل انتباهه منصباً عليها حتى بينما كان يجيب على المرأة الأخرى قائلاً: «توقفي عن قلقي، يا أوليفيا، انك ستخيفينها.»

غمر لون رقيق وجنتي أليكس، فيما كانت شوك شقيقتها وصيحة مما جعل عينهما يصبح غامقاً ومثيراً. وقد تتبعت عيناه حركتها تلك بدقة، فقالت بجرأة: «افضل ان أكون احكامي الخاصة على الناس.» ورأت شفتيه تتقوسان عندما ابتسم.

أجابها برقة: «ارتحت لسماعي ذلك.» جاعلاً أليكس تشعر وكأنهما الشخصين الوحيدين في الغرفة. ثم اضاف: «بتراكوس؟ يبدو اسماً يونانياً وليس انكليزيا.»

أجابته بشق النفس تقريباً: «قدمت عائلتي من اليونان بعد الحرب. امي انكليزية، وأنا ولدت هناك.» وفيما دنّ الجرس معلناً بداية الفصل الثاني من المسرحية، عضت على شفتها، وقد ادركت ان عليهم الذهاب، لكن فكرة انها لن ترى هذا الرجل ثانية جعلها تشعر بالبرودة داخل نفسها.

www.liilas.com

أوقفها بوضع يده على ذراعها ليسألها قائلاً: «هل لي ان ادعوك إلى العشاء بعد المسرحية؟»

شعرت وكأن قلبها طار على اجنحة الفرح، وكانت متأكدة من ان ذلك قد انعكس على وجهها. وتذكرت قبل ان تنطق بأية كلمة انها ضيفة عائلة ولز فاجابته: «احب ذلك، لكننا سبق وحجزنا طاولة للعشاء..»

علقت اوليفيا بنظرة على ذلك قائلة: «انها تتسع لأربعة، انضم الينا يا بيرس.»

قال موافقاً: «سيكون ذلك من دواعي سروري.» وابقى عينيه طوال الوقت على أليكس، التي شعرت انها تغرق في اعماقهما اللتين لا يسبر غورهما. ثم وعدهما بصوت اجش قائلاً: «حتى نلتقي في ما بعد، اذاً.» وابتسم ابتسامة اخيرة قبل ان يبتعد.

أو ضحت اوليفيا قائلة: «تعجبني صراحة لا اعتقد اني رأيت بيرس يتأثر هكذا من قبل اطلاقاً. انك بالتأكيد اصبت سهماً هناك، يا أليكس.»

كانت تأمل ذلك بالتأكيد، عرفت أليكس انها وقعت في الحب من اول نظرة رغم انها ما كانت تثق بذلك فعلاً. وتاهت عن بقية المسرحية كلها، لأن افكارها كانت تسرح بعيداً جداً، ولم يكن باستطاعتها ان تروي ما حدث، رغم انها صفقت عند النهاية. وبدا ان الحياة عادت اليها فقط عندما خرجوا اخيراً الى البهو ورأت بيرس ينتظر عند الباب.

كان العشاء في المطعم القريب اكثر من عشاء عادي من جراء المشاعر الجديدة التي غمرت قلبها. وفي ما بعد، لم يكن هناك ادنى شك من ان بيرس سيوصلها الى المنزل،

سار معها حتى باب الشقة التي كانت تستأجرها. واخذ منها المفتاح وفتح الباب، وبقي ممسكاً بيدها عندما اعاد المفتاح. ثم أخذ ينظر إلى وجهها المضطرب.

وتمتم بأنين متحسر غريب قائلاً: «أكس بتراكوس، من كان ليعتقد انك ستدخلين حياتي وتقلبينها رأساً على عقب؟»

حركت تلك العبارة اشياء غريبة في رأسها. سألته: «هل فعلت؟»

افترت شفتاه عن ابتسامة ساخرة، وأجابها: «آه، أجل. بكل تأكيد. لم اكن اتوقعك.»

«لم اكن اتوقعك، أنا ايضاً. اتيت الى هنا للعمل، وليس...» تلعثمت وتوقفت عن الكلام.

ردد بيرس موافقاً: «ليس.» وهو ينظر في عينيها يتفحص واضاف: «ربما انه ليس من الذوق السليم ان ادخل منزلك في اول موعد لنا، لكن رغبتي تعرف اني اريد ذلك.»

سرقت الرقة التي غمرت صوته انفاسها، سألته: «أهذا موعد؟»

أجابها واعداً: «الأول من بين العديد.»

قال بعد لحظات صمت: «الرجل الحكيم ينسحب عند هذه النقطة، لكن يبدو انني لا استطيع، سنتناولين العشاء معي غداً.»

لم تفكر حتى في ان تقول لا، لكن لم يكن لديها فكرة كم ستغير كلمة «نعم» التي ستقولها حياتها.

ذهبت معه لتناول العشاء عشية اليوم التالي، ومرت الساعات بسرعة. وفي الوقت الذي اعادها فيه إلى المنزل،

www.liilas.com

كان حبها له قد اصبح عميقاً جداً. كان شخصاً يسهل التحدث اليه، مهتماً بكل ما تقوله. وعندما اخذ يتكلم عن نفسه انشغلت بتأمل تعابير وجهه المتغيرة، والاستماع إلى النبرة الرقيقة في صوته، مما جعلها غير قادرة تقريباً على تذكر كلمة مما قاله، لكنها ورغم ذلك كانت مأخوذة به.

لم تلتق رجلاً مثله في حياتها، انه وسيم، أنيق، آسر بشكل لا يوصف، جعلها تفتتن به. فكان بيرس كنسمة هواء منعشة بالنسبة لها.

اختار ان يرضي احاسيس اخرى، فاصبح كل موعد مغامرة فيما هو يطلعها على تجارب جديدة ومثيرة. فقد يخصصان يوماً للاستماع إلى الأوبرا الجليلة حيث يذهبان بعدها لتناول عشاء في مطعم راقٍ، وقد يسبحان في اليوم التالي حفاة الاقدام على الشاطئ، ويأكلان سندوتشات في الوقت الذي يجريان فيه سباقاً على شاطئ البحر. وكان ذلك الانجذاب الجنسي قائماً بينهما، ولكن كان ذلك دائماً ضمن الحدود. ثم وفي احدى الليالي، وفيما كان جالساً على الأريكة في منزلها، قال لها بصوت اجش: «عندما آخذك الى منزلي، يا أليكس، سيكون ذلك بعد الزواج، وليس بعلاقة عابرة.»

وفيما كانت تنظر اليه، دمعت عيناها وسألته بلهفة تحمل بعض الشك: «اتريد ان تتزوجني؟»

ابتسم ابتسامة ساخرة وقال: «اعتقد انه علي ان افعل ذلك، قبل ان افقد السيطرة على نفسي.»

بحثت عيناها في عينيه، كانت تريد ان تتأكد، وقالت له: «تعرف انك لست مرغماً على الزواج بي، يا بيرس.»

كانت نظرات عينيه الزرقاوين تحرقها، ثم قال لها متهماً: «اعرف، لكن إما الزواج او لا شيء. ام انك لا تريدين الزواج مني؟»

صرخت قائلة: «اوه، لا! انني اريد الزواج منك يا بيرس، أنا أحبك كثيراً.»

وبعد ثوان قليلة، اوضح قائلاً بصوت عميق: «اذاً ستتزوج حالما استطيع الاعداد لذلك. لن تمانعي ان كنا نحن الاثنين فقط؟ لا أصدقاء، ولا عائلة؟»

نظرت إليه، والسعادة تغمرها، وقالت: «ابي وامي لن يعارضا طالما أنني سأكون سعيدة.»

وهكذا، تزوجا بعد أيام قليلة في لوس انجلوس، دون ان يخبرا أحداً أبداً. واستدعيا شهوداً على زواجهما، اشخاص غرباء لا يعرفونهما، واتجها بسرعة من حيث اجريت مراسم الزواج الى المطار ليركبا الطائرة المتجهة إلى نيويورك.

لم يكن يقلقها انها لا تعرف عنه سوى القليل جداً، عدا انه اميركي ورجل اعمال. لقد وقعا في حب بعضهما البعض، وكان وقتهما ثميناً جداً للاهتمام بامور كهذه. عرفت انه رجل أعمال ناجح، لقد اكتشفت ان الحب هو كل ما يحتاجانه ليكونا سعيدين.

كان الوقت متأخرا جداً عندما وصلا إلى شقته. ووجدت أليكس نفسها فجأة متوترة. قد تكون هذه هي المرة الأولى التي يتواجدا فيها معاً بمفردهما بالفعل، وما ينتظرها في تلك الليلة جعلها ترتجف من الخوف. لم تتواجد مع رجل لوحدهما تحت سقف واحد طوال عمرها البالغ واحداً وعشرون عاماً، كان مزاجه يبدو غريباً. كان هادئاً طوال

www.liilas.com

الرحلة، منشغل البال، وعندما تكلم كان هناك تكلف غريب في تصرفه، الأمر الذي وجدته مثيراً للاعصاب قليلاً.

وعندما استمر في مزاجه الغريب حتى عندما كانا يتناولان الوجبة التي كانت مدبرة منزله قد اعدتها لهما والتي لم يكن أياً منهما يتناولها بشهية، وجدت نفسها مجبرة على الكلام، فسألته: «هل كل شيء على ما يرام؟»

استمر بيرس بتقطيع قطعة اللحم، دون ان يرفع نظره اليها، ثم رمى بالسكين والشوكة جانباً ورفع عينيه لتلتقي نظرتها الخائفة بنظرة كانت تعرفها جيداً، والتي جعلت قلبها يدق بقوة في صدرها.

قال موضحاً بصوت اجش: «لا، الأمور ليست على ما يرام، أنا اريدك، يا أليكس.»

كانت تلك الليلة الحمل ليلة حملت فيها في حياتها، ليلة دخلت فيها إلى عالم جديد لم تعرفه من قبل.

تقلبت أليكس في مخدعها في الصباح، وسرت في جسمها موجة دافئة من السعادة الكلية لأنها لم تعد أليكس بتراكوس فقط بل السيدة بيرس مارتينو.

لكن كل ذلك كان الليلة الماضية. لقد اشرق الصباح الآن، وكل ما عليها القيام به هو ان تمد يدها وتلمس شعره الداكن.

كانت حركة لم تكملها اطلاقاً. لا، زوجها انتقض بعيداً عند اول لمسة لها، جلس، ودفع الغطاء، وصرخ قائلاً: «لا تلمسيني.» وصدمتها نبرات صوته الثائرة، مما جعلها غير قادرة على الحراك، لكن فقط لجزء من الثانية ثم نهضت هي

ايضاً، وهي تنظر اليه دون ان تصدق ما سمعته اذناها، فيما كان هو يبتعد عن السرير بخطوات ثابتة. ازاحت بيد مرتجفة خصلات شعرها الطويل وقد غشت عينيها الرماديتين، سحابة من الألم.

سألته بنبرة كانت تتارجح بين دعابة وادعة ورعب مما قد يحدث: «ماذا؟»

بدا وكان زوجها الطويل، النحيل، الداكن الشعر قد تصلب لدى سماعه صوتها، لكنه لم يوقف تقدمه نحو الحمام. استجمعت أليكس افكارها المبعثرة ونهضت من الفراش بسرعة. عليه ان يفسر لها معنى تلك الكلمات ان كان يريد منها ان تعتبرها مجرد دعابة ان كانت حقاً كذلك.

استطاعت أليكس ان تبقي صوتها طبيعياً بجهد كبير، لكن رغم ذلك كانت صدمتها جلية عندما تابعته قائلة: «بيرس ليس ذلك مضحكاً يا عزيزي.»

وصدف ان بيرس كان منحنياً فوق المغسلة بانتظار ان يمتلىء الحوض بالماء، فاقفل صنبور الماء قبل ان يميل برأسه نحوها. لم تستطع ان تحبس تنهيدة خانتها فيما كانت عيناه تتفحصانها من رأسها حتى اخمص قدميها بازدراء، وانتابتها موجة مؤلمة من الشعور بالاذلال لم تخالجها من قبل قط. فاتسعت عيناها وشعرت بشيء ثقيل وبارد كالحديد يملأ معدتها.

كان صوت بيرس يحمل اهانة ايضاً عندما تكلم قائلاً: «لم تتخيل للحظة انها كذلك.»

لم تستطع ان تصدق انه قد يقول شيئاً يؤلمها هكذا، ليس بهذه البرودة. لم تكن دعابة، بل كانت شيئاً حقيقياً مريعاً

www.liilas.com

أكثر من ذلك. وكان عليها ان تعرف ما هو قبل ان ينهار عالمها ويتحول الى حطام. فقالت: «بيرس! ماذا حدث؟ ما الخطب؟»

كان بيرس منشغلاً بوضع صابون الحلاقة على ذقنه، الا انه توقف ليرميها بنظرة ساخرة بدت وكأنها تحط من قدرها وقال: «ما الذي يجعلك تعتقدين ان هناك خطب ما؟»

وتعثرت في شرك من الارتباك. حتى الأمس كان محبباً للغاية، والآن... وبحثت يائسة في فكرها عن جواب ما، اي شيء قد يوقف التيار المظلم من الألم. سألته قائلة: «هل هناك شيء ما فعلته؟ هل انت نادم على الزواج مني؟ ولقد كان الشيء الوحيد الذي يمكن ان تفكر به.

ضحك لسماعه ذلك، وقال دون اي اثر ينم عن المزاح: «لا، كان عندي كل العزم للزواج منك. كان ذلك ما اردت، كان ذلك هو الجواب الذي اردت سماعه، لكنه كان يحمل في طياته ما اصاب قلبها بقشعريرة. لقد بدا بارداً جداً، وخالياً من العاطفة كجوال في متاهة. عرفت ان هناك طريقاً واحداً للخروج من هذه المتاهة، وذلك ان تتبع الممر الذي وضعها فيه وقالت: «قد تكون اردت ذلك، لكن اعرف ان هناك خطب ما. لست حمقاء كثيراً، بقدر ما ابدو بالنسبة اليك الآن. اعرف ذلك فقط. أنه مهما كان الأمر، فبامكاننا ان نحله سوية. هذا كل ما يتطلبه الأمر عندما يحب شخصان بعضهما الآخر.»

لم يزعج زوجها نفسه حتى في ان يوقف حلاقته. فقال: «من قال شيئاً عن محبتنا لبعضنا؟»

كان السؤال لفظ ضربة قاضية هزت كيانها. شعرت

أليكس بألم شديد في حنجرتها وهي تدفع صوتها لتقول له: «لكنني احبك يا بيرس.»

قال: «هذا اوافقك عليه.» ورمقها بنظرة حادة من عينيه الزرقاوين جعلتها تدرك ما قصده.

لم يكن لديها دفاعاً تجاه الحقيقة التي اراد ان تقر بها وصرخت: «لا!» كانت صرختها انكاراً صارخاً للألم المدمر الذي مزقها.

غسل بيرس بهدوء الصابون المتبقي وتناول المنشفة وقال: «لا، صحيح تماماً ان النوم العميق قد فعل العجائب لأجلك.»

شعرت أليكس انها ضعيفة جداً بحيث تمسكت بمقبض الباب حتى لا تقع ارضاً. فيما ضغطت يداها الأخرى بشدة على فمها وقال هامسة بانكسار: «لقد اخبرتني بانك تحبني.»

قال: «اذ فكرت بذلك بروية، ستتحققين بالتي لم استعمل قط تلك الكلمات.»

وجنح فكرها المعذب إلى الوراء، إلى كل محادثة اجرياها، وعرفت ان ذلك حقيقة. فيوم اخبرته انها تحبه، اجابها بيرس... وقد اغمضت عينيها أمام عينيه بقلق. لقد ظنت انه قد اخبرها ذلك. لكن كلماته الفعلية كانت بأنها لن تدرك عمق المشاعر التي يكنها في قلبه لها! لم تكن حباً! لم تكن حباً قط، كانت فقط...

كان عليها ان تعرف، رغم ان ذلك آلمها حتى الموت فسألته: «لِمَ تزوجتني يا بيرس؟»

اجابها وصوته يحمل تهكماً محزناً: «لِمَ؟ تزوجتك حباً بالانتقام.»

www.liilas.com

دوت الكلمة كالقصف في اذنيها وسألته: «الانتقام؟ لكن ذلك لا يفسر شيئاً، من أجل ماذا؟ ما الذي فعلته؟»

عندها رأت الغضب في عينيه، غضب شديد ازاح جانباً كل الازدراء المريع وسألها قائلاً: «هل حفيدة يانيس بتراكوس لا تعرف حقاً؟ لا استطيع تصديق ذلك، يا عزيزتي أليكس. ابحثي في ثنايا ذاكرتك، وأنا متأكد انك ستجدين الحقيقة، بالطبع، ان لم تستطيعي تدبر الأمر، يمكنك دائماً اللجوء إلي لطلب ذلك.» سيطر على غضبه بذلك الاستخفاف الساخر وتابع قائلاً: «والآن، ان كان علي الوصول الى المكتب عند الساعة الثامنة والنصف، يجب ان اغتسل الآن الأمر الذي افضله مع قليل من الخصوصية ان كنت لا تمانعين.» انقل بيرس باب الحمام بوجهها بعد ان اغلق وسيته الفاصلة ورأها تصيبها في الصميم

تعثرت أليكس على بعد بضعة اقدام من فراشها وسقطت جالسة على حافته ترتعش وكأنها قد شلت فيما كانت افكارها مشوشة. الواقع الوحيد الذي تغلغل في اعماقها هو انه لم يكن يحبها. كانت الكلمات تدور وتدور في رأسها وكأنها اسطوانة معطلة. عندما دخل بيرس عليها بعد دقائق وقد رمقها بنظرة سريعة، راقبته بوجه شاحب وعينان غائرتان. لم يكن هناك أثر لتلك اللطافة المحببة، فقد بدا الآن قاسياً مظهراً لونه الحقيقي.

توقف قليلاً بعد ان ارتدى بدلته الرمادية الداكنة متجاهلاً وجودها قبل مغادرته، وقال: «ان اسم مديرة المنزل هو السيدة رانسوم، ان احتجت إلى شيء اسأليها فقط.»

لم يكن لدى أليكس رباطة الجأش اللازمة لتجيبه، ولم

يكن بيرس منتظراً لسماع ذلك. تركها دون ان يضيف كلمة اخرى، تركها بمفردها برفقة تعاستها لشعورها بالغدر وافكارها المعذبة. بعد دقائق ظهرت السيدة رانسوم لتسألها ان كانت تريد تناول الفطور. كانت أليكس في مكانها دون حراك، ووجهها الشاحب خالياً من اي اثر للدموع التي أبت ان تتساقط. لم تكن تشعر بالخَدَر، مع انها تمنت ذلك الأمر الذي يضع نهاية لآلامها.

رفضت بهدوء تناول الطعام جاهدة تصنّع ابتسامة على وجهها وهي تقول: «لا، شكراً، يا سيدة رانسوم. ما زلت اشعر بتعب من عناء السفر.» التذرع بحجة تلك الظاهرة الحديثة كان اسهل بكثير من اخبارها الحقيقة التي كانت ان تفشيها لو لم تكبحها بقولها: «افتقد اني بحاجة للراحة اكثر من الأكل.»

اومأت مديرة المنزل برأسها وقالت: «حسناً، يا سيدة مارتينو. اتسمحين لي ان انتهز هذه الفرصة لأتمنى لك وللسيد بيرس السعادة؟»

لم تعرف أليكس ماذا تفعل، أتضحك ام تبكي. السعادة؟ لا بد وانها قد قدمت لها جواباً مقبولاً، لأن مديرة المنزل ابتسمت وغادرت المكان. وسقط القناع فيما اخفضت رأسها وقد اظهرت انحناءة عنقها انكسارها المريع. لم تعرف ماذا عنى بيرس بكلامه. فعائلتها لم تمسه بسوء، حتى انها لم تسمعهم يذكرون اسمه قط. لكن بيرس كان متأكداً جداً. قال انه يريد الانتقام، لذا اعد خطة ليخدعها ونصب لها فخاً لهذا الغرض. لقد امضى اسابيع وهو يلاحقها طالباً يدها للزواج مستعملاً كل جاذبيته ليقنعها

www.liilas.com

بهيامه، لتكون زوجته حتى يتمكن من نبذها بخشونة بهذه الطريقة.

غطت وجهها بيديها. لكنها أحبته ايضاً! كيف يمكنه ان يخدعها هكذا؟ هذا ليس عملاً انسانياً، كان خالياً من المشاعر... واحست بان قلبها قد تمزق الى اشلاء، حتى ان شرايينها كانت تنزف الماً. فيما كان الألم يتعاظم كان يفسح المجال تدريجياً لولادة غضب عارم وحارق.

لم تفعل شيئاً حتى تستحق هذا! كانت صرخة من اعماق قلبها اجابت عليها دماؤها. شعرت فجاة انها تريد ان تؤذيه كما اذاها. ملأت تلك الفكرة جوفها بلهيب متوهج. مجرد ذكرى كيف منحت كل حبها وثقتها لهذا الرجل جعلتها تشعر بوصمة عار في اعماق روحها. حرارة دموعها الحرقت [illegible] بكاء مكبوت. لقد رماها في [illegible] لكنها لن تدعه يراها باكية.

[illegible] بتشنجات [illegible] مع فحاشي وقد احست بقشعريرة. وضعت كوب العصير جانباً دون ان تشرب منه شيئاً. وأخذت تفرك ذراعيها براحة يديها لتزيد فيهما بعض الدفء. فالانتقام الذي سعت اليه من خلال غضبها وألمها لم يتحقق بعد. فقد كانت هذه البداية فقط. لم يحدث معها شيء مؤخراً أثر بها كما فعل غدره بها. فقد اصابها الأذى عميقاً متخطياً كل ما عداه.

حتى الآن، كما اخبرت بيرس بان فترة زواجهما القصيرة قد لقنتها درساً. درساً قيماً. لن تقع ثانية في مصيدة كذب الرجل ثانية، ولن تفسح له المجال ليسيطر على حياتها، ولن تكون له القوة ليتلاعب بها ويؤذيها. ولن

تطلق العنان لأحاسيسها ان تقودها للغرق في نفس المياه الخطرة حاجبة عنها الرؤية الصحيحة.

لقد تلقت انذاراً الليلة بان جانبيته طاغية وقد اكتشفت مدى هشاشة انوثتها التي جعلتها ضعيفة امامه. اذن يجب ان تحترس وتبقي ذهنها صافياً وان لا تدع عاطفتها تتغلب على منطقها. كانت الطريقة الوحيدة التي تجعلها متقدمة عليه خطوة واحدة إلى الأمام، انها لا تثق به. لقد تعلمت ذلك بطريقة قاسية.

مهما كانت الخطة التي لديه، فعليها ان تكون على حذر منها. انها تعرف كل شيء عن شركة مارتينو الآن. كانت متنوعة جداً. كانت هناك شكوك حول تهديده بالاستيلاء. فقد كانت لديه عادة الحصول على الشركات المتعثرة، حيث يعيد إلى تجزئتها ثم يبيعها كسباً للربح. إن كان هذا ما يفكر به بخاصة دار بتراكوس للنشر، فعليه ان يعيد حساباته ثانية.

كانت سمعة بيرس الشخصية ناصعة البياض، فلديه لمسة ميداس. كان امراً نادراً ان تكتب عنه كلمة في غير مدحه. ومع ذلك فقد كان هناك فارق بين شخصه كرجل اعمال وبين ما عرفت عنه مؤخراً كرجل. لو لم تكن امبراطورية بتراكوس في ضائقة ماسة، لكانت قطعاً دونما حاجة اليه. لكن عليها ان ترغم نفسها للتغاضي عن كبريائها وان تكون عملية من أجل معيشة الآلاف من العاملين في المؤسسة.

ان ابقت تفكيرها ضمن هذا الاطار فيمكنها أن تتولى أمر بيرس. فقد نضجت كفاية على مدى الخمس سنوات

www.liilas.com

الأخيرة. وعرفت انها اصبحت أكثر نباهة وذكاء. لن تكون جبانة وتفر هاربة. هذه المرة ستقف في وجهه وستنتصر عليه.

كانت مجرد فكرة جعلتها ترسم ابتسامة مشدودة على شفتيها وشقت أخيراً طريقها إلى غرفتها. ربما يمكنها أن تنتقم أخيراً.

الفصل الثالث

ارتدت أليكس ثيابها صبيحة اليوم التالي بعناية زائدة. فلقاؤها هذا مع بيرس سيكون امتحاناً لإرادة كل منهما، وتقضي مصلحتها ان تظهر واثقة بنفسها تماماً. لذا اختارت لنفسها ثوباً اسود اللون زينته بدبوس مرصع بالألماس على الياقة. كانت قد ورثته عن جدتها، وجعلته متكاملاً بوضع اقراط ماسية في اذنيها وسلسلة ذهبية بسيطة حول عنقها.

تقدمت نحو المرآة ونظرت فيها لترى مدى الأثر الذي قد يتركه ظهورها امامه. كانت لمسة الزينة التي وضعتها متقنة وخفوقة وكانها لم تضع شيئاً. ورضيت عن نفسها. انها تبدو امرأة اعمال تسيطر على حياتها تماماً. لقد عملت بجد لكسب عيشها وكسب الاحترام الذي تتلقاه الآن. ولم تكن لتتخلى عن ذلك بسهولة.

كان الوصول إلى المكتب امراً مرهقاً دائماً، لكن اليوم سبب آخر زاد من ذلك. كان الوصول متاخرة آخر شيء تريده أليكس فهي تعرف كم من الصعب تعويض الوقت الضائع. وابقاء بيرس منتظراً لم يكن جزءاً من خطتها. إنما ارادت ان تريه ان بامكانها المحافظة على برودة اعصابها تحت الضغوط. ولحسن الحظ كانت الأمور تسير لصالحها. وسرعان ما استقلت المصعد من موقف السيارات السفلي ليوصلها إلى مكتبها في الطابق الأعلى. عرّجت أليكس

www.liilas.com

على سكرتيرتها المنكبة على عملها بجد قائلة لها: «طاب صباحك يا روث.»

نظرت اليها المرأة بابتسامة وقالت: «طاب صباحك يا أليكس، كيف حال والدك؟»

أجابت أليكس وهي تنقر بأظافر اصابعها المطلية بلون زهري على سطح طاولة المكتب اللامعة قائلة: «بخير، اسمعي، من الأفضل ان تغادري مكانك الآن. سيأتي أحدهم لزيارتي عند الساعة العاشرة، لذا اريدك ان تخلي المكان لي.»

تناولت روث المفكرة وقالت: «هناك فقط موعد مع السير جونسون من الاتحاد مدوّن هنا لفترة قبل الظهر.»

قطبت أليكس جبينها فالاتحاد كان سبب لها الاماً منذ أيام، وكانت تبعدهم عنها حتى تتصلها بعض الأخبار السارة. لكن ما الذي يمكن ان يكون هذا؟ حسن، ان رجليه هذا، لكن ما باليد حيلة. حاولي ان تجدي له موعداً في فترة بعد الظهر، لكن ان لم تفلحي، اخبريه... أخبريه باننا سنحدد له موعداً آخر لأن النور قد يلوح في نهاية النفق.»

انتصبت اذنا روث التي كانت قلقة على وظيفتها كأي شخص آخر وسألتها: «هل هناك بصيص نور؟»

لاكت أليكس شفتيها وقالت بانتضاب: «كل هذا يعتمد على لقائي مع بيرس مارتينو.»

تساءلت سكرتيرتها بتلهف واضح: «تعنين السيد مارتينو نفسه الذي يعمل في تجارة السفن؟»

لسوء الحظ لم يكن هذا الكلام مدعاة فرح بالنسبة لأليكس التي لكنت لها ذلك.

تنطلت روث في مقعدها وقالت: «تعرفين، للمرة الأولى اشعر حقاً بان امورنا قد تتحول، وعلى أية حال، لقد فعل العجائب بذلك الاسطول. أليس كذلك؟ محوّلا الخسارة إلى ربح بأسرع مما تتصورين.»

تمتمت أليكس باكتئاب قائلة: «اجل، قد يكون ذلك صحيحاً، لكن أفضّل ان لا تنشري هذا الخبر حتى نعرف طبيعة الاتفاق، فان بيرس مارتينو لا يفعل شيئاً دون مقابل ابداً.»

قالت روث بفضول: «تبدين وكأنك تعرفينه.»

استجمعت أليكس قواها لتضبط نفسها، وقالت لها: «لقد سبق والتقينا. ساكون في مكتب والدي ان احتجتني.»

سارت إلى مكتبها، حيث القت بحقيبتها على طاولة المكتب قبل ان تدخل مكتب والدها عبر الباب الذي يصل بين المكتبين. بدا المكتب دون وجوده على كرسيه المتحرك، كأنما الحياة قد هجرته. ولم تستطع بأية طريقة، ان تتخيل انه لن يعود إلى هنا. وكان على ستيفن بتراكوس فوق ذلك، وان كان ما يقوله الاطباء صحيحاً، ان يحدث تغييراً سريعاً في نمط حياته ان كان يرغب في البقاء حياً مدة اطول.

اتجهت إلى خلف طاولة المكتب، ومررت يدها فوق جلد الكرسي الناعم، ثم وبيطء القت بنفسها على مقعدها الوثير. وقد غمرها الحساس انها قد بذلت كل ما في وسعها. كانت الكرسي كبيرة جداً عليها، انها بحاجة لستيفن بتراكوس آخر يملأها، وجعلتها معرفة ذلك تشعر بالتعب. لقد حلت محل والدها لأن الجميع توقعوا ذلك منها، حتى هي نفسها. والآن ها هم يتوقعون منها القيام بالعجائب.

www.liilas.com

دارت في الكرسي حتى اصبح بامكانها ان تسرح بنظرها عبر النافذة. كانت تعرف انها نجحت بما قامت به، لكن ذلك كان على الصعيد الاعلاني للاعمال، فلم تكن الإدارة امر تهدف للحصول عليه. ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعها، وكانت تشك في ان احداً غيرها يعرف حجم الديون التي تراكمت على والدها، الأمر الذي اظهر لها رجلاً يتحلى بفسحة من الاحتيال لم تكن تعرف انها موجودة من قبل. ورغم ذلك فقد ادركت من خلال اللقاءات مع المدراء الآخرين، ان الجميع ليسوا غافلين عن ذلك الأمر مثلها، وجعلها توسع الشركة بشكل متطرف وحجم فوائد المدفوعات الذي تم عبر قروض ضخمة من المصرف ونظم لبدء مشاريع جديدة، تشعر بالغثيان. بدا ان المال يتدفق إلى خارج الشركة لا إلى داخلها، مما جعل الأمر يبدو ككابوس. لا عجب ان عانى والدها من قرحة المعدة. لما كانت الشركة بحاجة إليه هو حفنة كبيرة من السيولة ويد قوية لتكبح الفرامل.

تنهدت بصوت عال. وكان من سخرية الأقدار المريرة ان الشخص الوحيد الذي يملك الحل هو زوجها السابق، ولم تكن ترغب في اقامة علاقة عمل معه لأنها كانت تعرف في اعماق نفسها ان الثمن سيكون باهظاً. ففي المرة السابقة كان جدها هو من عانى. ربما ان الأمر لم يكن ذا قيمة كبيرة، لكن اسطول السفن التجارية العائد لعائلة بترلكوس كان مصدر فخر له، وفقدانه قد قتله، ليس مباشرة، انما على المدى الطويل.

رغم ان نظراتها كانت ما تزال على العالم الخارجي، إلا ان منظراً آخر انعكس على افكارها. اسطول السفن التجارية

لعائلة بترلكوس، فقبل خمس سنوات لم تكن تعرف بوجوده حتى، لكنه أمر لن تستطيع نسيانه اطلاقاً، كما انها لن تنسى ذلك اليوم الذي سمعت عنه لأول مرة من بين شفتي بيرس مارتينو...

رفعت أليكس رأسها عند سماعها صوت فتح الباب واغلاقه، وقد تبع ذلك نبرات صوت زوجها الخافتة والمميزة، فنظرت بعينين مروعتين إلى الساعة ودهشت عندما رأت ان عقاربها تشير إلى ما بعد السابعة مساءً. لقد مر الوقت وهي تجلس على الكرسي قرب النافذة سجينة في عالم النسيان حيث كانت احاسيسها مخدرة بالسعادة. غادرت، كما املى عليها كبرياؤها، لأنها أدركت ان عليها ان تواجهه مرة أخرى. لقد قتل حبها له، واعتقدت بوهم ان بإمكانها مسامحته وهي تريد ان تعرف السبب، فانها تستحق ان يشاعرها، وهي تعرف الحقيقة مهما كانت مؤلمة.

احست أليكس بتشنج عضلاتها وهي تنهض على قدميها فقد كان جسمها كله وكأنه قطعة صلب مؤلمة، وشعرت بالبرد رغم انها كانت مرتدية سروالاً من الجينز وكنزة. عرفت ان احساسها ذلك كان ردة فعل وتمنت ان لا تخونها ملامحها عندما ترى بيرس. كان يعرف انه قد جرحها، لأنه تعمد ان يفعل ذلك. مواجهته من جديد الآن لن تكون امراً سهلاً، ولعلها اصعب شيء قامت به في حياتها. كان باستطاعة الغضب فقط ان يمدها بالقوة التي تحتاجها.

كانت الشقة كبيرة، لكن كل ما كانت تعرفه فيها هو غرفة الطعام وغرفة النوم. كانت تتوق إلى معرفة أقسامها، لكنها

www.liilas.com

هذا الصباح لم تشعر برغبة في ذلك! وفيما هي واقفة في الردهة، نظرت بسرعة من حولها. كان هناك إلى يسارها باب مفتوح جزئياً والضوء يظهر من خلاله، ففكرت ان كان بيرس موجوداً في أي مكان، فعليها ان تبدأ بحثها عنه هناك.

وجدت أليكس نفسها في حجرة جلوس واسعة حديثة التصميم. وكانت الستائر المخملية تغطي الجزء الأكبر من احد الجدران، مما يعني على الأرجح ان نافذة تغطي ذلك الجزء. وكان هناك اريك وكراسي ذات النوع جميلة جداً حول مناضد منخفضة، وكان السجاد يخفي حتى اثقل وقع اقدام عليه، كما ان طلاء الجدران كان مبتكراً. كانت لتجدها في أي وقت آخر غرفة مذهلة جداً، لكنها الآن كانت متوترة جداً للاستمتاع بأي شيء سطحي كهذا. كانت هناك مدفأة في الجهة المقابلة، ورغم انها لم تكن مشتعلة اتجهت نحوها، بخطوات هادئة. وكأنما اقترابها من المدفأة يدفيء اصابعها الباردة كالثلج.

جعلتها قرقعة الثلج على الزجاج تدير رأسها بسرعة. لقد كان بيرس واقفاً إلى جانب منضدة يراقبها بعينين غائمتين.

«أتودين تناول عصير الليمون قبل العشاء؟»

كان سؤاله ذلك كصفعة على الوجه. كيف بامكانه ان يكون هادئاً هكذا بعد ما حدث هذا الصباح؟ فازداد غضبها واجابته وهي تصر على اسنانها: «لا، شكراً.» واخذت تراقبه وهو يتقدم نحوها بخطوات متمهلة.

رأت شفتيه وقد قلبهما بسخرية عندما اصبح في نطاق

الدائرة الضوئية التي بانت من المصباح المضاء إلى جانب الأريكة. ثم قال لها: «أرى انك تلبسين ملابس الحداد.»

نظرت أليكس إلى ملابسها، ولاحظت لأول مرة انها سوداء. لم تكن تتعمد ذلك انما ارتدت أول ملابس وقعت يدها عليها، ومع ذلك فقد كانت ملائمة تماماً. تنحنحت قليلاً وقالت بصوت اجش: «شيء ما مات اليوم، يا بيرس، ومازلت لا اعرف لماذا.»

اقترب بيرس اكثر، والقى بإحدى ذراعيه على رف المدفأة وقال: «اخبرتني السيدة رانسوم انك امضيت النهار في غرفتك.»

وجدت أليكس نفسها تكاد لا تحتمل اقترابه منها، ورغم ذلك اجبرت نفسها على ان لا تقوم بأية حركة لتبتعد عنه كي لا يعتقد انها تهرب منه. قالت له: «هي اطلب منك ان تخبرني لماذا فعلت هذا؟ ماذا عنيت بما قلته عن جدي؟»

وقف للحظة يحدق بها، ثم هز كتفيه بلا مبالاة وقال لها برقة: «انا وانت، يا عزيزتي أليكس، تجري في عروقنا دماء يونانية. وبالنسبة الينا القسم لا يؤخذ باستخفاف. وانني انفذ وعداً قطعته. اما متى ظهر يانيس بتروكوس في الصورة، فيسرني جداً ان اخبرك بالأمر عندما ارى ان الآوان قد حان لذلك.»

تجاهله جعلها تشعر بالغثيان. واصرت قائلة بغضب: «اريد ان اعرف الآن.»

جالت عيناه الزرقاوان في شخصها المتصلب بتعجرف متكاسل. واجابها: «بعد العشاء.»

www.liilas.com

«اوه، كم اكرهك!» خرجت تلك الكلمات من بين شفتيها كتنهيدة عميقة، فضغطت عليهما بقوة كي لا تتمكن اية كلمات اخرى الافلات من بينهما.

على أية حال لو انها صرخت لبدا مستمتعاً، تماماً كما يبدو الآن. اجابها: «حقاً؟ البارحة فقط كنت تحبينني.»

شهقت لتلك القساوة المتعمدة، وحدقت في عينيه فيما حدثت عملية قتل في قلبها. وسألته: «اعتقدت انك لم تتحداني عندما التقينا ان كان وعدك هذا مهم جداً؟»

اجابها: «الم تجدي جواباً لذلك لوحدك؟ كان لديك النهار كله لأنني كنت بحاجة لك لتكوني زوجتي، فدون ذلك، كان بامكانك ان تفري سالمة.»

شعرت وكأن قلبها يعتصر بقوة، كان يعرفها، تاركاً اياها دون اي شيء، لا شيء سوى كبرياء عنيف، جعلها ترفع ذقنها قليلاً وقالت له: «ما زال بامكانني القيام بذلك الآن، أم تقول بانني سجينتك؟»

ارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة فاترة واجابها مؤكداً بسهولة: «بامكانك الذهاب ساعة تشائين. لست بحاجة لك كرهينة. كل ما كنت بحاجة إليه هو ان تصبحي زوجتي، وانت كذلك الآن، اليس كذلك؟»

شعرت أليكس أن لونها قد شحب وسألته: «اتقول لي ان كل ما جرى بيننا فعلته فقط لتتم الزواج؟»

رفع احد حاجبيه بازدراء، واجابها: «يمكن ان تكوني حمقاء لدرجة ان تتصوري انني قد اترك اي مهرب؟ فتنفيذ الوعد كان يعتمد على ذلك.»

كادت تختنق تقريباً من شدة الغثيان الذي ازداد فجأة

وهزت رأسها غير مصدقة ما تسمعه، وقالت له: «كيف حدث انني كنت حمقاء لدرجة انني اعتقدت انني احبك؟»

غطت جفناه العينين الزرقاوين فيما هو يمد يده ليمرر اصابعه على وجنتيها، وسألها: «أأنت متأكدة تماماً انك لا تحبينني الآن؟»

سرقت قساوة قلبه انفاسها، لقد اخبرها للتو انه تزوجها لأنه كان مجبراً على ذلك وليس لأنه كان يريد ذلك، والآن ها هو يريد ان يثبت انها ما تزال طوع بنانه متى اراد ذلك.

فصرخت بوجهه قائلة: «لا تجرؤ على لمسي.»

وفجأة ظهرت في عينيه نظرة غريبة لم تعهدها بهما، وقال لها موضحاً بصوت اجش: «لا تتحديني ابداً، يا أليكس، فهذا اسوء شيء قد تقومين به.» واسكت بها فيما كانت تحاول الفرار واعادها، وهي تحاول المقاومة فيما ثبت ذراعيها بذراعيه، ودفع رأسها وقد ثبتها باحكام في شعرها، ومرت لحظة التقت فيها عيونهما، عيناها تظهران الاشمئزاز وعيناه تحملان تلك النظرة الغريبة التي لم تستطع تفسيرها.

وعندما اطلق بيرس سراحها اخيراً بدت عيناها متسعتين في وجهها المتقد، فيما كانت عيناه تلمعان بإشعاع لدرجة الانبهار.

قال لها: «ليس الأمر سهلاً، اليس كذلك؟»

ما كان ليختار طريقة افضل، ان كان يريدها ان تشعر بالازدراء، لذا قالت له: «لم اكن اعتقد قط انني استطيع احتقار اي انسان كما احتقرك. وانني لا اشعر سوى بالكره لشخص قد يفعل ما فعلته انت بي اليوم.» استدارت قبل ان يستوقفها صوته قائلاً: «إلى أين أنت ذاهبة؟»

www.liilas.com

رمته بنظرة مليئة بالاشمئزاز، واجابته: «ساعود إلى غرفتي حتى تصبح مستعداً للتكلم معي.»

كان التوتر الذي يبدو من صوته مرعباً عندما قال لها: «ان كنت تريدين معرفة الوقائع، عليك ان تنضمي إليّ خلال العشاء. انني اصر على ذلك.»

استدارت أليكس عائدة، وقد كبتت اعتراضها وهي تعرف ان عليها معرفة كل شيء رغم انها لا تريد رؤيته ثانية. جلست على الطرف الآخر من الأريكة لتبتعد عنه قدر ما تستطيع، واجبرت نفسها لتنظر في وجهه قائلة: «حسناً، ان كان ذلك ما تستمتع به، سآخذ ذلك العصير الآن. «لقد كانت بحاجة ماسة له.

أجابها بيرس بليجاز: «لم اقل انني استمتع بذلك.» فيما كان متجهاً ليسكب لها كوباً من العصير، ثم عاد حاملاً بيده عصيرها المفضل.

ساد الصمت ولم يكن في نيتها القيام بمحاولة فتح محادثة لطيفة. فهذا لم يعد شهر عسل، وهي العروس الخجولة، انما حرب انهاك، وهي لن تتصرف على غير هذا النحو، لذا شعرت بالارتياح عندما قرع الباب ودخلت السيدة رانسوم لتخبرهما ان العشاء جاهز. كانت مجرد فكرة الطعام بالنسبة لأليكس مثيرة للغثيان، لذا حاولت استجماع كل رباطة جاشها لتتمكن من ان تأخذ مكانها إلى الطاولة، لكنها بعد ذلك لم تحاول ان تأكل الطعام الذي وضع امامها، ولا حتى لتتظاهر انها فعلت ذلك. تأملها بيرس عبر الطاولة، ولم يعجبه مظهرها الهادىء الصامت.

وبعد لحظة قال لها مشجعاً وهو يشير للحساء: «ان هذا لذيذ جداً، عليك ان تتذوقيه.»

تحدث عيناها عينيه وهي تسأله بفظرسة: «هل هذا امر؟»

فبدا التوتر على فمه وسألها قائلاً: «هل تنوين ان تميتي نفسك جوعاً؟»

«بسببك انت؟ ابداً!»

فابتسم ابتسامة متجهمة لذلك، وقال لها: «لذا تناولي بعض الحساء، يا أليكس. فكما اخبرتني السيدة رانسوم فانت لم تتناولي شيئاً من الطعام طوال النهار.» كان هناك حدة في صوت بيرس ممزوجة، من بين اشياء عدة، باهتمام لا يحتمل، لحين قال: «هل علي ان آلهب لك واطعمك؟»

لجأت أليكس إلى السخرية فاجابته: «ما الأمر؟ اتخشى ان ينعكس الأمر سلباً عليك ان مت؟»

استوى بيرس في جلسته على كرسيه، ونظر اليها بتجهم قائلاً: «انني لا اخشى شيئاً. انني افعل فقط ما يجب ان اقوم به. ليس في نيتي اطلاقاً ان اجعلك تمرضين.»

استعدت أليكس لمجابهته، وأجابته بشكل لاذع: «اذاً، من الأفضل ان تغرب عن نظري او تدعني ارحل، لأن مجرد رؤيتك تشعرني بالغثيان.»

ابتسم وأجابها: «لا تقلقي، ليس في نيتي ان اطيل رفقتنا معاً. حالما احصل على ما اتيت من اجله، لن تريني ثانية اطلاقاً.»

شعرت أليكس ان عضلات وجهها تتصلب، فصرخت

www.liilas.com

قائلة: «اتمنى لو انني لم اراك قط.» في الوقت الذي دخلت فيه مديرة المنزل إلى الغرفة. فكان عليه ان ينتظر حتى تزيل السيدة رانسوم اطباق الحساء عن الطاولة وتضع مكانها طبق الطعام الاساسي كي يجيبها.

وعندما اصبحا بمفردهما من جديد، هزّ بيرس كتفيه العريضتين بلامبالاة وقال لها: «طالما كان علينا ان نلتقي، يا أليكس. هناك امور لا بد ان تحدث.»

كانت ان تضحك. يريدها الآن ان تصدق ان للاقدار دور بما حدث! لكنها اجابته: «انني لا اصدق هكذا اموراً خرافية. لقد خططت لكل شيء حتى التفاصيل الدقيقة، ولم تترك شيئاً للصدفة. يا لهذا التكبر! اخبرني، ماذا كنت لتفعل لو انني كنت مخطوبة وعلى وشك الزواج؟»

«كنت حاولت جاهداً ان افسخ خطوبتك، بالطبع.»

صدقته. فرجل فعل ما فعله بيرس ما كان ليعيقه اي ارتباط موجود. ومهما يكن الأمر الذي يعتقد ان عائلتها قد فعلته، فإنه خطير بما يكفي ليقوم بأي تصرف، مهما كان مخادعاً. فقالت: «اعتقد انك كنت لتفعل ذلك، وليس عندي ما اشعر به تجاهك سوى الاحتقار.»

«طالما انك افصحت عما في نفسك، وبما ان احداً منا لا يستمتع بهذه الوجبة على ما يبدو، يمكننا ان ننتقل إلى غرفة المكتبة.»

غار قلبها، لكنها نهضت بسرعة ولحقت به عبر الممر. اضاء النور وحثها على الدخول. كانت غرفة ترسل الارتياح في النفس مزدانة برفوف من الكتب، في احدى جوانبها طاولة مكتب قديمة، ومجموعة من الكراسي حول مدفأة

وهمية اخرى. وكان إلى جانبها مكان خصص للكؤوس والميداليات والصور. كانت يد بيرس على ظهرها تحثها على الوصول إلى هناك. ومد يده إلى احد الرفوف المميزة، من حيث احضر صورة داخل اطار وناولها اياها قائلاً: «هل تعرفين أحداً منهما؟»

تجهمت ثم نظرت بسرعة إلى الصورة القديمة. حيث يقف رجلان يرتديان بنلتين سوداوين كتفاً إلى كتف، وكانهما قزمان امام السفن التي تظهر خلفهما. لم تتعرف إلى أي منهما في البداية، لكن شيء ما في وجه احد الرجلين الصارمين جعلها تتمعن في الصورة ثانية.

فصرخت بتعجب: «انه جدي!»

«جدي، جورج انتوياس.»

«انتوياس؟ لكنه ليس يونانياً، واسمه هو مارتينو.»

«جداي كانا يونانيين لكنهما غادرا اليونان بعد الحرب وهاجرا إلى امريكا، حيث تزوجت ابنتهما، امي، رجلاً اميركياً، لورانس مارتينو، وانا ولدت هنا.» وكان بيرس ما يزال يشير باصبعه إلى الرجل الآخر، قبل ان يحركه نحو خلفية الصورة ليضيف قائلاً: «وهذا هو اسطول انتوياس.»

وفي غمرة ارتباكها، نسيت ان تتصرف بغضب فقالت له: «انني لا افهم. اتقول ان جدينا كانا يعرفان بعضهما البعض؟»

ضحك ضحكة قصيرة واجابها: «اقول انهما كانا افضل عدوين، وليثبت ذلك، سرق يانيس بتراكوس الاسطول من جدي.»

www.liilas.com

شهقت أليكس قائلة: «سرقه؟» ثم دفعت بالصورة اليه، واضافت: «لا تكن سخيفاً! جدي لا يملك اية سفن.»

كانت الابتسامة المستمتعة التي ظهرت على شفتي بيرس مقيتة، فيما قال: «اؤكد لك انه يملك بضع سفن ترسو مهترئة في مسفن في شمال افريقيا، وهي كل ما تبقى من مجموعة سفن بتراكوس التجارية. سفن كانت ذات يوم تحمل اسم اندرياس. كان يانيس بتراكوس يرغب دائماً بالحصول على هذه السفن، فقد كانت تشكل اسطولاً ممتازاً، كان امتلاكها يعني الثروة، النفوذ والدخول ضمن طبقات المجتمع الراقية، كان هناك ثلاثة اشياء يتوق للحصول عليها، واختار ان يحققها بالزواج من ابنة المالك. لأن تلك الأشياء ستكون جزءاً من ثروتها، لكنها كانت مغلوبة ولن تنظر إليه. كانت تلك المرأة جدتي، وحصل جدي على السفن عندما تزوجها. ومنذ ذلك اليوم وساعداه كرههما بتراكوس واقسم ان يحطم جدي والسفن بأية طريقة قد تمكنه من ذلك، ما لم يستطع الحصول عليه، بحيث ان لا يحصل عليه احد سواه ووجد الطريقة المثلى، بعد الحرب، حيث اظهر اوراقاً، مزيفة بالطبع، تثبت ان جدي كان يتعاون مع العدو. وبكرم كبير، عرض على جدي مخرجاً لهذه الورطة، ان وقع اوراقاً بالتخلي عن السفن، تختفي الأوراق، وإن لم يفعل فإن العائلة باكملها ستقتل.»

وأضاف: «بالطبع ذلك لم يكن صحيحاً، لكن لم يكن هناك طريقة لاثباته، بينما يانيس بتراكوس كان على علاقة بالسوق السوداء، وكان لديه طرق للحصول على ما كان يريده. وهكذا، حصل اخيراً على السفن. لأن جدي كان يحب

عائلته، فقد كل شيء، لكنه اخذ عهداً على نفسه انه سيستعيد سفنه يوماً ما. اتى إلى اميركا وبدأ حياة جديدة، وجمع ثروة جديدة. لكنه لم ينس قط. رؤيته الطريقة التي كان الاسطول يترك فيها ليصبح شيئاً فشيئاً خراباً، حطّم فؤاده. عرض ان يشتريه عدة مرات، لكن بتراكوس رفض، وعندما لم يعد بحاجة لاستعمالها، ترك السفن تهترىء بكل بساطة.»

وتابع قائلاً: «عندما مات جدي، جعلني اقسم عهداً له بأن افعل ما عجز عن فعله. ورفض بتراكوس ان يبيعني، لذا لم اجد مبرراً لاستمر في ضرب رأسي في الحائط، فبحثت عن طريقة اخرى ووجدتك انت المفتاح، يا أليكس. اريد سفن بتراكوس التجارية وانت من سيحضرها لي.»

ورنين جهاز الاتصال الداخلي الحاد جعل أليكس تجفل وتعود من ذكرياتها الموْلمة من جديد فدارت على كرسيها لتجيب: «نعم، يا روث.»

«السيد مارتينو هنا، يا آنسة بتراكوس.»

خفق قلبها بشكل مثير للغثيان، وقالت لها: «دعيه يدخل من فضلك، يا روث.» علمت ان عليها ان تطلب احضار قهوة ايضاً، لكن لم يكن في نيتها البقاء وقتاً كافياً ليتمكن من تناولها.

بالكاد استطاعت ان تمرر يدها فوق شعرها وتتأكد من ان ازرار سترتها كانت مقفلة بشكل جيد قبل ان يدخل إلى الغرفة.

كان يبدو هذا الصباح مثال رجل الاعمال الناجح، حيث كانت بذلته الايطالية الرمادية اللون تناسب قامته الطويلة تماماً، كان يبتسم بتهكم كبير فيما كان يعبر الغرفة نحوها.

www.liilas.com

قال لها برقة: «صباح الخير يا أليكس.» ومد لها يده، فارغمها على ان تصر على اسنانها وتمد له يدها، التي ابتلعتها يده الكبيرة، مما جعلها تشعر انها ستبتلعها هي ايضاً. ونتيجة لذلك سحبت يدها بعيداً على نحو مفاجيء مما جعل وجنتيها تتقدان احمراراً.

قالت له ببرودة: «سيد مارتينو.» وهي تضغط اصابعها بقوة على ظهر طاولة المكتب لتوقف نزعتها للاضطراب. كانت لمسته كتيار كهربائي اطلق الكهرباء في ذراعها. ثم تابعت: «كما ترى، لقد تركت لك موعداً مفتوحاً، لكن اكون ممتنة ان لم تهدر كثيراً من وقتي القيم، فلدي اشخاص اخرين على رؤيتهم.»

اتخذ لنفسه مقعداً مقابلاً لها، متجاهلاً اصول اللياقة، وقال لها: «اجلسي، يا أليكس، وتوقفي عن محاولة الطلاق انطباعاً عن اهميتك، كلانا نعرف انك لا تتوقعين استقبال احد سواي. لقد قابلت كل من كان من المتوقع ان يمد يد المساعدة، ولم تفلحي.»

شعرت أليكس باضطراب في داخلها. هل عليه ان يفرك لها انفها بهذا الأمر؟ كان معرفة انها فشلت امراً، لكن سماع ذلك منه كان امراً آخر. ودون ضرورة لذلك قالت له: «لم اطلب منك المجيء اطلاقاً.»

سألها: «كيف حال والدك؟» تجهمت عند سماعها سؤاله. اجابته بشكل قاطع: «انتهم حقاً للأمر؟ ان لم يكن كذلك، افضل ان لا تتعب شقيقك بالسؤال.»

تصلب وجهه وأجابها: «مهما يكن ما تعلمته في غضون خمس سنوات، فان اصول اللياقة لم يكن من ضمنه. انك

تعضين اليد التي قد تطعمك. يا أليكس. من الأفضل ان انصحك بان تتذكري باني لست مجبراً على مساعدتك، يمكنني النهوض والمغادرة ساعة اشاء.»

استحقت التانيب، وتنهدت بعمق. فرغم كل الكره كان عليها ان تتملق له. واستطاعت اخيراً ان تقول له وهي تصر على اسنانها: «اني آسفة.»

بدا انه استساغ ذلك، إذ قال بسخرية: «هل اعتبر اعتذارك هذا انك تريدينني ان ابقى؟»

أجابته بصوت مخنوق: «نعم.»

قلب شفتيه وقال لها: «إذاً، هل لي ان اقترح بان تطلبي بعض القهوة؟ أنا متاكد انك ستحتاجينها.»

لم تجبه اذ انها لم تثق بقدرتها على ذلك، الأمر الذي لمس به والذي جعله يستنتج الامر اكثر، فاكتفت بان مدت يدها نحو الهاتف وطلبت القهوة. ثم استوت في مقعدها وتنهدت بعمق مرات عديدة مرغمة نفسها على الاسترخاء. تركته يتمكن من التاثير بها، مما كان يجعلها دائماً عرضة للأذى. كان عليها ان تريه انها لم تعد شخصاً يسهل التغلب عليه.

قالت له بصوت أفضل حالاً: «اشرت الليلة الماضية إلى انك قد تكون قادراً على مساعدتنا. فما الذي يدور في رأسك بالضبط؟»

وضع بيرس ساقاً فوق الأخرى، ثم قال: «كما فهمت فإن شركة بتراكوس الاعلانية ترزح تحت حمل ثقيل من الديون. ولكي يتم انقاذها فانها ليست بحاجة إلى مبالغ كبيرة من السيولة فقط. انما هي بحاجة إلى تقييم جذري للطريقة

www.liilas.com

التي تجري بها الأعمال. باختصار، بعد ان تنتهي من قضية الديون، أنت بحاجة إلى ان تقلصي الاعمال إلى حجم يمكن ادارته بشكل لسهل. أليس كذلك؟»

اجابته: «انك تعرف ان الأمر كذلك، لكن، على أية حال، عليك ان تدرك انني لا استطيع الموافقة على اي نوع من تبنيك الأمور دون موافقة والدي.»

رفع احد حاجبيه. وسألها: «وما الذي يجعلك تعتقدين انني اريد ان اتبنى اعمالك.»

«لا تحاول خداعي. هذه هي الطريقة التي تعمل بها، والجميع يعرف ذلك. انك تشتري من الناس، تقسم الاعمال إلى اعمال صغيرة وتجني ربحاً هائلاً.»

قال لها ببرود: «هل هذا نقد؟ غريب، لم اسمع احداً غيرك قط يتذمر، انني اتعامل بالعدل والانصاف، فالناس يأخذون قيمة شركاتهم في السوق وبعد ذلك تقع على كل المخاطرة على أية حال، ليس هذا نوع الاتفاق الذي اقدمه لك.» عند ذلك وجدت أليكس اعصابها متوترة جداً. لدرجة انها لم تكن قادرة على البقاء ساكنة في مقعدها.

اضاف بيرس برقة: «ما ارمي إليه، يا عزيزتي أليكس، هو انني على استعداد لتغطية كافة الديون. كما وأنني مستعد لأن امدّ الشركة بمبلغ كاف من السيولة لتبدأ العمل من جديد.»

حدّقت أليكس به ثم قالت: «كيف؟ قلت لتوك ان لا رغبة لديك في تبني الاعمال. وانك لست مجنوناً لدرجة ان تعطي المال دون اي مقابل.»

«انك محقة تماماً. انني لست مجنوناً. كما ترين، ما اقدمه

هو عبارة عن هبة اكثر منها قرض، وانني بالتأكيد اتوقع ان انال شيئاً مقابل ذلك.»

قالت بغباء: «هدية؟» وببطء اتكأت أليكس على ظهر مقعدها وكانت عيناها الواسعتين الرماديتين تحدقان في عينيه. ابتلعت ريقها بصعوبة وسألته: «ما هي شروطك؟ افترض ان لديك بعضاً منها؟»

احنى رأسه تسليماً بصحة كلامها. واجابها: «بكل يقين. الشروط هي انني اسلمك الكميات المطلوبة من المال، وأعينّ فريق اداري لمراجعة اعمال الشركة في اليوم الذي تصبحين فيه، انت يا عزيزتي أليكس، زوجتي.»

www.liilas.com

الفصل الرابع

«زوجتك»

شعرت أليكس للحظة انها اصيبت بدوار، لكن بعد ذلك اندفع الدم يجري بقوة من جديد في عروقها، وانفجرت تضحك بتهكم، وهي تهز رأسها انكاراً.

ثم قالت له بقساوة: «انك مجنون! لا بد انك فقدت عقلك تماماً!»

لم تتغير تعابير ملامح بيرس قط بل أجابها: «ذلك بالطبع هو مسألة رأي، ولا علاقة له إطلاقاً بالموضوع الذي نتداول فيه...»

فقاطعته قائلة بغطاظة: «عدا انك تتوقع مني ان اتزوج رجلاً مجنوناً.»

عند ذلك ظهرت على تعابير وجهه رقة متعمدة، وقال لها ببرودة: «اتوقع منك ان تفعلي ما هو عقلاني. ان كنت مجنوناً كما تقولين، إلا انني ما زلت ثرياً جداً، وأنا اعرض عليك طريقة للخروج من متاعبك، طريقتك الوحيدة للخروج من بين كل البيانات، واختيار قبولها عائد اليك.»

شعرت أليكس بغضب مغثٍ يجيش في صدرها لفكرة انه قد يملك الوقاحة حتى لمجرد اقتراح ذلك. فقالت له: «ان كنت تعتقد، بعد زواجنا الأول الزائف، انني قد افكر في الزواج بك يوماً وتحت أي ظروف، فانك لست مجنوناً فقط بل مجاز بالجنون.»

إلا ان بيرس أمرها بنبرة حادة، قائلاً: «توقفي عن التصرف بشكل مأساوي هكذا، انت امرأة اعمال، وهذا اتفاق عمل.»

اتسعت عينا أليكس، وقالت له باستهزاء: «اتعني انك كنت لتقدم العرض نفسه لو ان رجلاً كان يجلس هنا؟ كم هذا لطيف منك!»

نظر إليها بعينيه الزرقاوين الباردتين، وقال: «ليس من الحكمة ان تدفعيني كثيراً، يا أليكس، عرضي فريد من نوعه، لكن يمكن سحبه بسهولة كأي عرض آخر.»

شعرت بالارتباك من نظرات عينيه الثابتة، إلا انها لم تستطع إلا ان تقول له: «ادهشني انك لم تفعل ذلك حتى الآن، فذلك سيتناسب وطريقتك في العمل.» رغم انها كانت تعرف انها تعرض امكانيات انقاذ شركتها للخطر.

إلا انه قال لها: «اعتقد انك قد تكونين الآن قد ادركت اننا فعلنا ما كان علينا القيام به. إنها سمة مشتركة لكلينا، لأننا نحن الاثنين تجري في عروقنا دماء يونانية.»

رمته عيناها بسهام من الازدراء في محاولة فاشلة كي تذبحه. وقالت له بانفعال: «الدماء التي يسعدني فقط ان احرك منها، كما ترى، لقد اكتشفت قبل خمس سنوات انه ان كان هناك أمر جيد قام به اليونانيون فهو معرفتهم كيف يحقدون. لقد قطعت عهداً على نفسي أنا أيضاً يا بيرس، وهو ان انتقم منك لما فعلته بي.»

ما كنت لأتوقع أقل من ذلك من شخص من عائلة بترلكوس.»

«ورغم ذلك تريد الزواج مني؟ وستساعد والدي؟ هل

www.liilas.com

تتوقع حقاً ان يصدق شخص من عائلة بتراكوس كلمة شخص من عائلة اندرياس؟»

أجابها بيرس وفي صوته نبرة غضب قائلاً: «اتوقع منك ان تأخذي كلمتي، بالاضافة إلى مالي كأي شخص حساس.»

تركت أليكس بريق الاحتقار يظهر في عينيها فيما انحنت فوق طاولة المكتب نحوه، وقالت له بتحد: «جعلتني ابدو حمقاء لظهوري كلقمة سائغة في الفم، لكنك نسيت انني أنا أيضاً سمعت عن طروادة. وانني اعرف جيداً كم عليك ان تحذر هبات اليونانيين ذات المغزى! لذا فانه حقاً ليس مثيراً للعجب ان لم اصدق بحبك للغير. إنها مجرد مكيدة أخرى لتضع يديك القذرتين على قطعة أخرى من ممتلكات عائلة بتراكوس!»

قال لها: «هناك عدة امكانات فقط تقبل سماعها منك، يا أليكس، لذا كوني حذرة. أما بالنسبة لأي شيء عن نواياي...»

وتوقف هنا عن الكلام ورفع كتفيه بلا مبالاة كما اليوناني التقليدي ثم تابع قائلاً: «انت حرة لتصدقي ما تريدينه. انني اعرف ان محاولتي لأبدل لك رأيك ستجعلك فقط تتشبثين به. لذا سأقول هذا فقط. كان لدي عدو واحد في حياتي، وهو يانيس بتراكوس. ولقد تم دفع الدين عندما استعدت مجموعة السفن التجارية.»

لم تعد أليكس تقوى على الجلوس هادئة، لذا نهضت بتوتر على قدميها، ورغم ذلك لم تر شيئاً. لم تكن تعرف ان كانت حقاً تؤمن بما زعمته للتو أو لا. كانت تقاتل بقدر ما تستطيع، لكن دون ذخيرة في اسلحتها وهي مكرهة على الدفاع عن نفسها.

قالت له بقسوة: «لقد استغليتني حينها، وتريد ان تستغلني الآن.»

«على العكس، أنا أريد مساعدتك.»

ضحكت وقالت له باجهاد: «أتتوقع مني حقاً ان اصدق انه سيسرك ان تساعدني فقط؟ أتقول انك ستدعني ارحل حالما أسدد المال؟»

نهض بيرس برشاقة على قدميه، وسار حتى وقف بجانبها، استطاعت أليكس ان تشعر بتوتره وتوترت هي أيضاً.

أجابها مؤكداً شكوكها، بصوت تغشوه نبرة حادة: «لا، الاتفاق غير قابل للتحويل والتبديل، ستبقين زوجتي. لن يكون هناك طلاق. هذه المرة، والزواج سيكون زواجاً حقيقياً جداً وإلى الأبد.»

وشعرت بصعوبة في التنفس للذكريات التي استحضرتها في ذهنها، وحركت فمها بمرارة. كان الحب مع بيرس رائعاً، وقد احبته فعلاً، لكن كل ذلك قد تغير الآن فقالت له: «أتشعر بنوع من السرور ان تزوجت امرأة تعرف انها تكرهك؟»

تحرك بيرس ليقترب منها أكثر بشكل جزئي، عرفت انها حركة متعمدة من قبله، وعرفت بحدسها ان افضل دفاع لها حياله هو ان تبقى ساكنة تماماً وتتجاهله.

وبصوت مختلف تماماً، سألها: «ربما انت تكرهينني، يا أليكس، لكني اتساءل ان كنت قد توقفت عن حبي.»

لم تستطع تجاهل تلك الكلمات. ورغم نواياها الطيبة، استدارت والغضب يعتمر نفسها، ورفعت يدها لتصفعه على خده بقوة لدرجة ان يدها آلمتها.

www.liilas.com

ثم قالت له بلهجة آمرة ويديها على كتفيه لتدفعه بعيداً:
«سافل بكل معنى الكلمة. لا تذكرني كم كنت حمقاء! الجواب هو لا، يا بيرس، ألف مرة لا. والآن اخرج من هنا قبل ان استدعي رجال الأمن ليرموك خارجاً!»

ظهر في عينيه استجابة غاضبة، وتحرك بسرعة فأمسك كلتا يديها ودفعها بقوة إلى وراء ظهرها، ودفعها نحوه قائلاً بصوت متوتر: «أوه، لا! ليس حتى اثبت أمراً ايتها المرأة الصغيرة المشاكسة.»

بيرس فقط... اسمه مزق الشرنقة التي كان يحيكها حولها، وعاودتها الحقيقة المرة تعمل معها موجة مثيرة للغثيان من ازدراء النفس. تصلبت في وقفتها، فاطلق بيرس سراحها بسرعة، وخطى إلى الوراء لينظر باستهزاء في عينيها المغلبتين.

قالت له بامتعاض: «ويمكنك ان تذهب.» الشعور باحتقار نفسها جعل الكلمات تبدو وكأنها طلب أكثر مما هو أمر.

لكن بيرس قال رافضاً ذلك بصراحة: «ليس قبل ان نسوّي هذا الأمر.» نظر بتأمل إلى وجهها الذي أشاحته عنه، ثم اقترح بصدق، وقد عاود السيطرة على نفسه تماماً: «تقولين انك تريدين الانتقام. أية طريقة أفضل لذلك من الزواج مني؟»

عادت أليكس لتجلس على مقعدها وهي تبتلع مرارة معرفتها كم هي يائسة. ثم أخذت تضغط بأصابعها على ذراعي الكرسي حتى أصبحت مفاصلها بيضاء اللون. وقالت له بكل ما أوتيت من ثبات: «لن اضع رأسي في حبل المشنقة ثانية.»

سار بيرس بعد لحظة ليجلس على طرف طاولة المكتب، ليقيّد من حرية حركتها، وقال لها: «حسناً، إذاً انظري للأمر من هذه الزاوية. توقفي عن التفكير بنفسك. تقولين انك تريدين مساعدة والدك، وانني اعرض عليك الطريقة الوحيدة لذلك. إلى أي مدى تعنين ما تقولينه؟ ماذا جرى للاخلاص تجاه العائلة يا أليكس؟ ماذا حلّ بالتضحيات الشخصية لأولئك الذين تحبينهم ويحبونك؟»

شهقت أليكس فيما شعرت بموجة من الألم تندفع في داخلها. كيف تجرأ على سؤالها هذا؟ ما من تضحية قد تكون كثيرة عليهم! ورغم ذلك ما ان خطرت لها تلك الفكرة الغريزية حتى بدت لها أيضاً الحقيقة المؤلمة. انها برفضها تنكر على والدها الفرصة الوحيدة التي جاءت له. لقد حاولت كل وسيلة أخرى، وكانت هذه الوسيلة الوحيدة المتبقية. لطالما احسن بيرس دائماً التوقيت! فقالت له بصوت مخنوق: «انك سادي!»

اقترب منها وأمسك ذقنها بيده واجبرها على النظر في عينيه. وهو يقول: «أنا واقعي، كل ما عليك فعله هو الموافقة على أن تتزوجيني، وبعد ثلاثة أيام من الآن سيكون المال في المصرف، وستنتهي متاعب والدك.»

وفيما كانت متاعبها ستبدأ، جذبت نفسها لتتحرر منه وأجابته: «لا! اضافة إلى أن والدي لا يقبل مالاً منك!» محاولة تبرير ذلك لنفسها.

قال دون مفاخرة لأن ذلك كان حقيقة: «لم لا؟ ان اسمي غني عن التعريف.» كان اسمه ضمانة فعلية عن مصداقيته عالمياً، بالرغم من ملاحظاتها المسبقة. ضاقت عينا بيرس

www.liilas.com

بعد لحظة وسألها: «هل تحاولين اخباري بطريقة ملتوية، بأنك اخبرته عن زواجنا؟»

كم أحبت ان يكون بامكانها قول نعم، وبأن والدها اعتقد بانه كاذب أيضاً، لكن ذلك يعني انها أخلّت بوعدها لجدها. كان وضعاً لا تحسد عليه في مواجهتها للحقيقة وقالت باشمئزاز: «ما من أحد يعرف ذلك، لكن ان اخبرته من تكون، عندها، اني أشك كثيراً في ان يقبل بذلك مهما كانت الظروف.»

بدا بيرس مستمتعاً قليلاً وقال: «اعرف انك تحبين التفكير هكذا، لكن والدك رجل واقعي أيضاً. لِمَ لا تحاولين سؤاله؟»

انتترت عيناها بغضب يائس وقالت: «لا تظن اني لن افعل ذلك.» ومرة ثانية وجدها تتفعل بطريقة طفولية. ماذا حدث لكل وقارها وسيطرتها على نفسها عندما تكون بلمس الحاجة لهما؟ سؤال احمق. بيرس هو السبب وهذا تفسير كافٍ.

وكما توقعت، ضحك في الحال وقال: «لم اضع شيئاً أمامك يا عزيزتي أليكس لكن تذكري فقط، ما زال بامكانك عدم اخباره عن زواجنا القصير الأمد. وليس من الحكمة ان ترتقي بآمالك عالياً جداً. فلا اعتقد انه سيكون البطل الذي تتوقعينه عندما يتعلق الأمر بزواج مدبّر. فهو يوناني، حتى لو كان متقلباً مثلنا قليلاً، سيعرف ما هو صالحك، وزواجك مني سيوفر لك الأمان مدى الحياة.»

كان وحشاً. قد اقفل كل زاوية يمكنها اللجوء اليها. بدأ شعورها يزداد أكثر وأكثر بانها وقعت في الفخ. لم تكن

تفكر ان كرهها قد يتعاظم، لكنه حدث الآن وقالت: «تعتقد انك ذكي جداً، أليس كذلك؟»

وقف يسوي بذلته وقال: «هل أنا كذلك؟ ستذهلين كم دعوت نفسي غبياً يا أليكس، لكن ليس هناك شيء أفقده هذه المرة.»

لم تفهم أليكس ما قاله ولم تكن قطعاً راغبة في فهم ذلك وقالت: «سوى كمية كبيرة من المال!»

اقترب من طاولة مكتبها. وقال: «ليس المال كل شيء. تعلمت ذلك منذ زمن بعيد. وبالنسبة لهذا، فقولك لا، ليس جواباً. فكري بالأمر يا أليكس. تحدثي إلى والدك ان وجدت ضرورة لذلك. سأمهلك اربع وعشرين ساعة. إذا اردت الاتصال بي فانا باقٍ في أثينا اليوم.»

لم تنبس أليكس ببنت شفة وبقيت جالسة كتمثال. وراقبته وهو يغادر المكان. اغلاق الباب بهدوء جعلها تجفل. وارتجفت وهي تطبق جفون عينيها. الزواج من بيرس؟ كيف يمكنها ان تقبل عرضاً كهذا؟ كان أمراً لا يقبل التفكير. وبالرغم من ذلك أيّ خيار آخر أمامها؟ هل يمكنها ان تقف متفرجة على كل ما بناه والدها يذهب أدراج الرياح؟ هل يمكنها العيش بعد ذلك وهي تعرف انه كان لديها الوسيلة لمنع حدوث ذلك؟

ارتعشت وشعرت بالبرودة تصل إلى عظامها. الزواج من بيرس؟ القت مرفقيها على الطاولة ودفنت رأسها بين يديها، منذ خمس سنوات قتلها بوحشيته. كيف لها ان تضع نفسها بين يديه ثانية؟ ماذا عليها ان تفعل؟

عند الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم، كانت أليكس

www.liilas.com

قد استنفدت كل محاولاتها للعمل. لم تستطع حل ابسط الأمور ولقاءها مع ممثل الاتحاد كان مواجهة يمكنها تجنبها. وبعدما غادر المكان شعرت بانها خائرة القوى. فقد ملأ عرض بيرس افكارها واستحوذ على كل ما عداه، لكنها عرفت انها لن ترتاح قبل تسوية هذا الأمر وبدا لها ان هناك طريقة واحدة لتسويته.

أمسكت حقيبتها ومرت على مكتب سكرتيرتها وقالت: «أنا ذاهبة لزيارة والدي يا روث. هناك أمر هام علي مناقشته معه.»

بدت روث منهارة قليلاً وقالت: «ألم يقدم لك السيد مارتينو عرضاً لا يقبل الرفض؟»

استعضت أليكس لهذا الاطراء المفرط وقالت: «هذا ما أختاره. سأراك في الغد.» غادرت المكان وهي متأكدة بأن روث تحدق في اثرها بالمرتبك على اية حال لم يكن لديها الوقت لشرح الأمر مع انها شعرت بأنها قادرة على ذلك.

كان الطريق مزدحماً وبالرغم من طول الوقت فان الشعور بالغليان والانزعاج لازمها حتى عندما أوقفت سيارتها في ساحة المستشفى. كان والدها يتعالج في غرفة خاصة ولم تفاجأ أليكس بوجود والدتها تحيك الصوف في غرفته فيما كان والدها نائماً.

قالت أليكس بعدما حيّت امها بقبلة: «هل كنت هنا طوال الليل؟»

شرحت لها إميلي بتراكوس بعزم لطيف يصعب مواجهته: «ليس الليل بطوله، لقد سمحوا لي باستعمال احدى الغرف للنوم فيها.»

تنهدت أليكس وقالت: «ساجلس مع والدي قليلاً. لِمَ لا تخرجين قليلاً لتنشق الهواء النقي؟ الطقس جميل في الخارج وانت بحاجة إليه وذلك سيفيدك كثيراً.»

قالت امها بتردد: «حسناً، ان كنت متأكدة يا عزيزتي، هناك أمور يجب القيام بها. اعترف انه أمر سخيف لكن لا استطيع ان اتركه. لدي شعور غريب بأن شيئاً ما سيحدث بينما أكون بعيدة عنه.»

ضمتها أليكس بقوة وقالت: «فهمت، لكنني ساكون هنا. هيا اذهبي.» ساعدتها في ارتداء سترتها قبل ان تخرج من الغرفة لتشيعها بابتسامة على شفتيها. وسرعان ما عادت إلى جانب السرير ثانية لتحتل المقعد الشاغر وتقترب من والدها النائم.

مع انها كانت بحاجة للتحدث معه، لكنها لم توقظه، وانتظرت حتى تحرك. ولسوء الحظ فقد ترك لها ذلك مزيداً من الوقت للتفكير. لم يكن هناك هكذا تأكيد عندما ذهبت لرؤية جدها منذ خمس سنوات، حيث كان طريح الفراش أيضاً كان الوسيط حينها كما هو الآن. بيرس مارتينو، عادت بذاكرتها إلى الوراء غير راغبة في تصديق كلمة مما قاله بيرس...

خرج يانيس بتراكوس من غرفة النوم في شقته في مانهاتن، وقد بدا انزعاجه ظاهراً عندما رأى حفيدته جالسة على الكرسي الوثير.

سألها بوجه عابس وهو يحدق فيها وفي بيرس الواقف إلى جانبها: «ما الذي يجري يا أليكس؟ ومن يكون هذا الرجل؟»

www.liilas.com

قبل ان تجيب أليكس تكلم بيرس قائلاً: «اسمح لي ان اقدم نفسي. اسمي بيرس مارتينو، وأنا زوج أليكس.»

بدا يانيس بتراكوس مستغرباً وسأل: «زوجها؟ لماذا لم اكن على علم بذلك؟» تساءل وقد بدا عليه وكأنه قد جُرح في كبريائه، الأمر الذي جعل بيرس يزمّ شفتيه أكثر.

قال باقتضاب: «نحن نعلمك الآن.» مما جعل الرجل العجوز يحدق فيه بامعان وقد ضاقت عيناه وهو يفكر وقال: «مارتينو؟ هذا الاسم مألوف لدي. ألم تلتقِ من قبل؟»

أجاب: «ليس مباشرة. قدمت لك عرضاً بشأن شركة بتراكوس للملاحة وأنت رفضته.»

ازداد تجهم جدها على هذا التعليق العنيف. «لم يكن معتاداً على مقابلة اناس لا يتأثرون من حضوره» وقال: «آه، أجل. تذكرت الآن. لقد كنت مقنعاً جداً، لكن هذه الشركة لم تكن يوماً وان تكون برسم البيع.»

انتهى الأمر عند ذلك فيما يخصه، وكما ظهر تجهمه فجأة ابتسم فجأة ومدّ يديه لأكس قائلاً: «لكن ما شأن هذا بزواجك؟ أنت فتاة سيئة لأنك لم تخبري جدك، لكني لا استطيع ان اغضب منك في هذا اليوم المهم. تعالي، دعيني أقبلك يجب ان نحتفل بذلك.»

ابتسم بيرس لأكس ابتسامة ساخرة وقال: «لم ارسل بطلب الشراب بعد. اعتقد انك ستكتشف ان أليكس تريد الطلاق. أليس كذلك يا حبيبتي؟»

تجهم وجه يانيس ثانية فيما هو يتراجع خطوة بعيداً عن حفيدته وقال متمتماً: «طلاق؟ أي جنون هذا؟»

أجابه بيرس برقة دون ان يتأثر بتأفف وتنحنح الرجل

العجوز: «ليس جنوناً. انني مستعد لمنحها الطلاق لكن بثمن، في حال قبلت به لن أعارض. لكن ان رفضت الاذعان لطلبي اعدك، انني سأعمد إلى مقاضاتك لسنوات.»

جعلت تلك الكلمات جدها يميل برأسه إلى الوراء بغضب وجذب أليكس إلى جانبه ليحميها قائلاً: «أي رجل أنت؟ تزوجت حفيدتي لتطلقها فقط؟»

ابتسم بيرس، ورفع حاجبه باستهزاء عندما حصل على الطريقة التي كان يتمناها لبدء كلامه، فقال: «أنا يوناني الأصل، وانطلاقاً من الدم الذي يجري في عروقي أريد الانتقام لعائلتي. أريد استعادة ما سرقته منا يا يانيس بتراكوس، ومقابل ذلك اعطيك حفيدتك.»

ووجدت أليكس لأول مرة منذ دخولها الشقة القوة للتكلم فقالت بصوت مختنق: «انه يريد اسطول سفن بتراكوس التجاري يا جدي. لذا تزوجني، قال انك سرقته و...»

التغيير الذي حلّ على وجه يانيس بتراكوس فاجأ أليكس، لكن بيرس بدا وكأنه لم يتوقع أقل من ذلك. قاطعها يانيس قائلاً بلهجة قاسية آمرة: «توقفي!» مما جعلها تشهق. إلا ان عينيه بقيتا مسمرتين على الشاب الذي يقف بمواجهته وسأله: «من أنت؟»

أجابه بيرس بسخرية مهينة: «ألم تحزر بعد؟ انني حفيد جورج اندرياس، وقد أتيت للمطالبة بما كان لنا.» قال ذلك بلهجة طبيعية جعل أليكس تنظر إليه بخشية، رغم ما تشعر به من كره له.

ظهرت لهجة الرجل العجوز الأصلية بشكل أوضح، عندما أعاد ترديد كلماته باحتقار واضح، إذ قال: «أنت مخبول

www.liilas.com

وابن مخبول. أنا يانيس بتراكوس، لست شخصاً من هذا النوع. كانت الوثيقة الموقعة التي تحيل إلي ملكية السفن قانونية وملزمة. تلك السفن ملكي قانونياً، وما هو ملكي لا أتخلى عنه!» وفي الوقت نفسه سحب أليكس بقوة إلى جانبه وأضاف: «والآن وقد احضرت حفيدتي إلي فاني لن أدعها تذهب. لن أدع شخصاً من عائلة اندرياس يلطخ شخصاً من عائلة بتراكوس! الزواج سيلغى. وأنت لن تنال شيئاً!»

تصلبت أليكس فهي تعرف تماماً طبيعة الورقة التي يحملها بيرس في يده. اختنقت الكلمات في حنجرتها ولم تستطع سوى ان تحدق به بخوف.

أما بيرس من جانبه فقد رماها بنظرة طويلة، ثم حوّل كل انتباهه إلى عدوه. وقال بلهجة خالية من أية عاطفة: «لا يمكن الغاء الزواج، أخشى انك تأخرت كثيراً يا بتراكوس، فانا وأليكس تزوجنا أمس. لقد أمضت الليلة معي.»

اعتقدت أليكس انها هبطت إلى أكثر درجات الاذلال عمقاً اليوم، لكن بيرس استطاع بتلك العبارة الصغيرة ان يظهر لها ان الحفرة التي وقعت فيها لا يسبر غورها. شعرت بالتوتر الذي اعترى جدها، فرفعت نظرها لتلتقي عينيه المتهمتين.

طلب منها قائلاً: «قولي لي ان ذلك غير صحيح. قولي لي يا أليكس انك لم تلحقي بنا الخزي بزواجك من شخص من عائلة اندرياس.»

لطالما عرفت ان جدها كان رجلاً فخوراً جداً، لكنها لم

تتوقع قط ان تُتهم بالحاق الخزي بالعائلة. لقد جعل من زواجها من بيرس عملاً سيئاً جداً، فيما اقدمت هي على الزواج به بدافع من حبها وثقتها، عرفت رغم ذلك ان ما من جدوى من الاعتراف انها كانت تجهل من هو بيرس. فما يهم كان التصرف، وليس المعرفة لأن الضرر قد وقع.

وكان كل ما استطاعت القيام به هو تحويل غضبها إلى الرجل المسؤول عن كل هذا. قالت: «لا أستطيع.» وكانت عيناها تظهران حقدها واحتقارها لزوجها حتى بينما هي تتكلم.

تبع ذلك سيل طويل من الكلام اليوناني الذي لم تفهم شيئاً منه، لكن الذي بدا ان بيرس فهمه، لأنه تصلب وغضب مستعملاً معرفته الخاصة باللغة. وبإيجاز انما الشديدة التأثير، صمتت جدها رغم من ان النظرة التي رماها بها كانت باردة. خامر أليكس شعور غريب جداً بأن بيرس كان يدافع عنها لكنها لم تستطع التصور لماذا قد يفعل ذلك. نظرت اليه، لكن لم يكن هناك تعابير يمكن قراءتها في ملامحه المتصلبة، فقررت انها لا بد مخطئة، وفوجئت انها شعرت بموجة من خيبة الأمل جعلت معدتها تنقبض. الأمر الأكثر جنوناً على الاطلاق بعدما استغلها هو بهذه القساوة.

بدأ جدها يتكلم من جديد، بعد مرور قليل من الوقت، لكن باللغة الانكليزية فقط هذه المرة، قال: «انك رجل ذكي يا سيد مارتينو. لقد عرفت الشيء الوحيد الذي يجعلني اذعن لطلباتك. لربما انك ربحت، ولكن أنا لدي بضعة شروط، سوف أرتب الأمور من أجل الطلاق، وسيكون هذا الزواج

www.liilas.com

وكأنه لم يحدث قط. لا أنت ولا حفيدتي ستتذكرانه لأي كان، ولا حتى لعائلتك. وإن حدث وعلمت انك فعلت هذا، عندها ساعمل بكل سلطتي لأجعلك تندم ندماً كبيراً.»

«وفّر تهديداتك يا بتراكوس، لأولئك الذين يمكنك اخافتهم. فكل ما أريده هو ما هو لي بحق، والمسألة قد تسوّى هنا والآن. اعرف انك تسافر دائماً برفقة محاميك، اطلب منه ان يسحب الوثائق الليلة، وفي الصباح سأكون قد خرجت من حياتك.»

هكذا انتهى زواج أليكس القصير، خلال ساعات الليل القليلة، بتوقيع الوثيقة التي قايضتها مقابل شركة سفن تجارية.

أتى بيرس اليها قبل مغادرته وقد ارتعش فكه قليلاً فيما هو ينظر إلى وجهها الشاحب وقال: «اني نادم لأن الأمور حدثت بهذه الطريقة.»

إلا ان الازدراء الذي بدا في نظرات عينيها أخبره انها لا تصدقه وقالت: «لا اعتقد ان ذلك سيقضّ مضجعك خلال الليالي. أتمنى ان تكتشف ان الأمور كانت تستحق هذا كله يا بيرس، وان تمنحك تلك الورقة السعادة. لكن ان لم تفعل يمكنك ان تتأكد ان الضحك الذي ستسمعه هو ضحكي!» كان ذلك كل ما استطاعت قوله ثم استدارت مبتعدة ورحل هو... ومنذ ذلك الوقت لم تره ثانية حتى نهار أمس.

لم يسامحها جدها قط لأنها تسببت له بخسارة كبريائه ومرحه. وقد مات بعد بضع سنوات من جراء ذلك، لكنها حافظت على الجزء المختص بها من الاتفاق ولم تخبر أحداً عن زواجها من بيرس. كان ذلك جزء من حياتها شعرت

بسعادة كبيرة في ان تنساه، رغم انها لم تنسه حقاً قط. والآن عاد بيرس من جديد، مع اتفاق آخر من اتفاقياته فشعرت انها وقعت في الفخ ثانية تماماً كما حصل لها من قبل.

www.liilas.com

الفصل الخامس

كانت أليكس لا تزال تطيل التفكير بظهور بيرس المفاجيء في حياتها، عندما تناهت إلى مسامعها تنهيدة من ناحية الفراش جعلتها تدير رأسها بسرعة، لتجد والدها ينظر إليها.

قال لها بصوت حزين يفتقر القوة: «كنت سارحة في البعيد البعيد، يا أليكس. وافكارك بدت غير سعيدة.»

نهضت لتطبع قبلة على خده، ثم جلست على حافة السرير، وامسكت بيده واضافت تقول بحذر: «اخشى ان المستشفيات تجعل الافكار السوداء تراودني. كيف تشعر؟ اصدقني القول.»

ضحك ستيفن بتراكوس فيما بينه وبين نفسه، وابتسم لابنته الوحيدة قائلاً: «اشعر بتحسن كبير لرؤيتك. لكني لست مسروراً جداً لرؤيتك متجهمة.» ثم تبددت ابتسامته، وغامت عيناه بنظرات اهتمام ووخز الضمير فيما قال باحباط: «ما كان علي ان أتركك تعالجين الفوضى التي احدثتها! لِمَ كان يجب ان امرض الآن؟ آخر مكان احتاج ان اكون فيه هو سرير في المستشفى!»

شعرت أليكس ان قلبها قد غار من مكانه فيما هي تنظر إليه، لمعرفتها انه من السيىء لحالته اثارة مشاعره هكذا. فقالت: «هدىء من روعك، يا ابي. لن تقدم مساعدة لاحد ان جعلت نفسك تمرض من جديد. اضافة...» عضت على

شفتها، متحيرة بما تريد قوله. وبالطريقة التي تقوله فيها. واجبرتها الصراحة على ان تعترف ان جزءاً كبيراً من حيرتها عائد إلى انها كانت خائفة من سماع الجواب.

فاكمل والدها بغضب: «اضافة لماذا؟ اضافة إلى ان احداً لن يحرك ساكناً لكي يساعدك؟» وتراجع بوهن إلى الوراء على وسائده.

عرفت أليكس خطورة الموقف الآن واختارت بسرعة الطريقة الوحيدة التي تعيد اليه هدوءه قائلة: «في الحقيقة، هذا ليس صحيحاً.» شعرت بالراحة بعدما انكرت عنه الحقيقة ورأت مسحة الشحوب تختفي عن خديه وتحل مكانها نظرة عينيه الحادة وهو يسألها: «ماذا تعنين يا أليكس؟»

اختارت كلماتها بعناية شديدة قائلة: «حسناً، هناك شخص يريد المساعدة، لكن عرضه... غير عادي.»

انطلى الأمر على والدها فوراً وقال: «تقولين غير عادي؟ بأية طريقة على وجه التحديد؟ على كل حال لدينا متاعب الآن، لكن نحن شركة محترمة في الاساس. يمكننا ان نعود كذلك ثانية إذا استطعنا تسوية اخطائي. أفترض ان أي شخص راغب في تأمين السيولة سيطلب حصصاً في الشركة وبعض الصلاحيات.» رأى تصلب وجهها فاعاد التفكير وقال: «لا تقولي لي ان شخصاً ما يريد استلام مقاليد الأمور كلياً؟»

عرفت ان ذلك الأمر هو بمثابة اسوأ كابوس على والدها، فاكدت له أليكس بسرعة: طبس البتة. الحقيقة هي العكس تماماً. الأمر هو ان هناك رجل... يريد الزواج مني. هو يعرف متاعبنا وعلى استعداد لمساعدتنا مالياً، لكن...

www.liilas.com

هناك مشكلة، فاسمه بيرس مارتينو.» ذكرت اسمه بسرعة وانتظرت سماع دوي انفجار القنبلة التي اسقطتها.

بدا والدها للحظة عاجزاً عن الكلام وبدت كلماته متعثرة وهو يقول: «تعنين مارتينو نفسه صاحب الملايين؟» تساءل وقد بدا وجهه مشرقاً: «تسمين ذلك مشكلة؟»

شهقت أليكس لأنها لم تكن متأكدة بأن بيرس بهذا الغنى الفاحش واستغربت طالما انه يستطيع شراء ما يريد، لماذا اختار مساعدة والدها دون مكسب ظاهر؟ وتابعت كلامها قائلة: «هناك أمر آخر، ان جده هو جورج اندرياس.» لم يطل انتظارها طويلاً لتسمع الرد.

امتعض ستيفن بتراكوس وقال: «آه، الرجل الذي كرهه والدي. لم اخبرك قط عن ذلك يا أليكس، وسبب الخلاف بيني وبين جدك هو اندرياس. لقد حاول ان يشركني في النزاع ليس أكثر، أمر يتعلق ببعض السفن، لكني رفضت، وحدث ذلك عندما عدت إلى انكلترا وبدأت بشركتي الخاصة. وكما ترين يا عزيزتي لا احمل اية ضغينة تجاه عائلة اندرياس. تقولين الآن ان الحفيد يريد الزواج منك واخراجي من الورطة؟» جلس والدها في سريره وقد علت الابتسامة العريضة على وجهه وتابع كلامه قائلاً: «حسناً، ذلك افضل خبر نقلته إلي. هل تعتقدين ان هناك مشكلة؟ لا استطيع ان افكر بزواج افضل من هذا لك. هل تعرفينه منذ وقت طويل؟» وكان من شدة حبه لها ان اتجهت افكاره اولاً نحو سعادتها وليس وراء انقاذ شركته.

قالت: «قابلته اول مرة منذ بضع سنوات. خرجنا سوية، لكن لم يحدث شيء بيننا.» وشعرت انها تكاد تختنق من

جراء كذبتها، لكنها تنحنحت وتابعت قولها: «ثم عاد للظهور من جديد ليلة البارحة و...»

«اخبرك بانه لم ينسك طيلة هذه السنوات طلب منك الزواج؟ إذاً، هذا ما قصدته امك عندما اخبرتني أنك قد تحملين لي أخباراً جيدة؟»

سألته: «الا تعتقد ان الأمر حدث فجأة وعلى عجل؟»

أجابها: «هذا هراء. عندما يرى الرجل ماذا يريد، فإنه يسعى في طلب ذلك! لِمَ عليه الانتظار؟ ولِمَ لا يريد الزواج منك؟ أنت جميلة وذكية والزوجة المثالية لأي رجل، من تكون أفضل منك؟»

غار قلبها في صدرها. وقالت بعد ان رسمت ابتسامة ملتوية: «لم تسألني يا أبي ان كنت احبه؟»

أشاح بيده وقال: «إذا كنت لا تحبينه الآن فستحبينه لاحقاً. انه مهتم بك يا عزيزتي. ما الذي سيحدث لك لو لم تكن هنا؟ هذا الزواج سيوقف قلقي.» ضغط على يدها متأثراً واضاف: «هناك امور اسوأ من الزيجات المدبرة يا أليكس. أنا ووالدتك مثال على ذلك وما كنا لنكون اكثر سعادة. عليك ان تتعلمي ان تعطي وتأخذي.»

كانت تعرف ذلك. لكن حسب خبرتها فإن البعض يأخذون اكثر مما يعطون. مهما يكن، فقد ابقت على سرها ولم تخبر والدها بانها لم تقل نعم بعد. كان امامها خيار واحد. فقد كان الشرك يلتف حولها بقوة. الا انها ابقت على شجاعتها وابتسمت وقالت: «من الأفضل ان تتمنى لي السعادة، عندها، هذه المرة عندما اقول لك ان تكفّ عن القلق، ستعرف انه يمكنك ان تفعل ذلك.»

www.liilas.com

ضحك والدها فيما عادت والدتها، وبالطبع فقد اطلعت على الخبر وبكت متأثرة لارتياح زوجها وسعادة ابنتها. وعدت أليكس والديها بأن تصطحب بيرس لمقابلتهما، وغادرت المكان بعد نصف ساعة حيث كان عليها رؤية بيرس.

كان يمكنها بالطبع ان تؤجل الاجتماع إلى الغد، لكن ذلك لم يكن سهلاً فقد علمتها التجارب انه من الأفضل تناول الدواء الكريه بسرعة.

انطلقت نحو السافوي وهي في حالة من الغضب الشديد. فقد أملت عندما تم طلاقهما بأن لا ترى بيرس ثانية أبداً، لكن الآن عليها ان تربط نفسها به بقية حياتها. كان ذلك عرضه الذي لا يقبل التفاوض، فالمال متوفر مقابل ان تصبح زوجته ثانية وليس مناك من طلاق. احدثت تلك الفكرة طعنة حادة من الألم في صدغها.

كرهت ان ينصب لها الفخ بهذه الطريقة، لكن الأمر الذي لم تستطع ان تفهمه فعلاً هو، لماذا ارادها بيرس ان تكون زوجته طالما هو متأكد من ماهية شعورها نحوه؟ ولم تكن غبية لتتخيل ان عرضه هو من اجل منفعة الآخرين. لا بد ان يكون هناك شيء آخر وراء الأكمة، ليس مجرد مساعدة والدها للخروج من ضائقته. لقد كان وسيماً للغاية ورجلاً واسع الثراء، وبامكانه الحصول على اية امرأة يريدها زوجة له، لماذا إذاً يربط نفسه بشخص يكرهه؟

كان السؤال يختمر في ذهنها عندما دخلت الفندق وطلبت من موظف الاستقبال ان يتصل بجناح بيرس. أملها الأخير بأن لا يكون موجوداً تحطم عندما قيل لها ان تصعد إليه.

تحققت من مظهرها في مرآة المصعد. مررت احمر الشفاه على شفتيها لتعيد لها نضارتها وسرحت شعرها بسرعة لتشعر بحضورها اكثر. افترضت لو انها تذهب إلى المنزل لتبدل ثيابها، لكن حاجتها لتنهي الاجتماع كانت اكثر اقناعاً.

فتح بيرس الباب لها، بدا مرتاحاً جداً وقد نزع ربطة عنقه فيما كمّ قميصه مثنيتين، وظهرت ذراعيه القويتين وقد كساهما الشعر الأسود. لم يزعج نفسه بالسؤال عن سبب قدومها انما تنحى جانباً فقط ليتيح لها الدخول ثم اغلق الباب وراءهما. بدا الأمر لأليكس وكان آخر فرصة للهرب قد سدت في وجهها. غمرها شعور قوي بالغضب مما جعلها تسير إلى الأمام وترمي حقيبة يدها على أقرب منضدة. تبعها بيرس، كان بامكانها الشعور بنظرات عينيه مركزة عليها وتخيلته يسخر منها، كان احساساً قوياً جعلها تستدير لتكشف فقط انها كانت على خطأ كانت نظراته بعيدة عنها، متفحصة وبعيدة كل البعد عن السخرية.

حركت رأسها وقد بدت منزعجة ومرتبكة وقالت له بفظاظة: «لقد جئت لتوي من المستشفى.» فازدادت حدة نظراته الفاحصة ليسألها: «كيف حال والدك؟»

تنهدت بإحباط، وقلبت شفتيها بازدراء فيما كانت تحرر احدى يديها من خلال خصلات شعرها الأشقر القصير عابثة بها. ثم اجابته: «انه يتعافى بسرعة. وقد يسرك ان تعرف انه لا يكن اية ضغينة لأي فرد من افراد عائلة اندرياس.»

فرد عليها بيرس قائلاً بجفاف: «على عكس ابنته.» وسار إلى حيث توجد صينية عليها أكواب وزجاجة عصير

www.liilas.com

إلى جانب الغرفة ثم اضاف قائلاً: «هل يمكنني ان اقدم لك شيئاً؟ تبدين وكأنك تحتاجينه.»

اجابته بايجاز: «سأتناول عصير الليمون.» ورفعت نقنها عندما نظر إليها بدهشة. بدت ابتسامتها عذبة جميلة فيما اضافت: «يقولون انه يساعد على التهدئة. وهو امر احتاجه ان كنت مضطرة لامضاء اي وقت معك. ما كنت لأفاجأ لو امضيت اياماً في سديم.»

بدا انه لم يستمتع بكلماتها تلك اطلاقاً، لكنها لم تعرف لماذا عليها ان تقيم وزناً لمشاعره فيما لم يفكر هو قط في مشاعرها. ولم تفاجأ في ان الكوب الذي اعطاه لها لم يكن يحتوي سوى على عصير آخر. فيما سكب لنفسه كوباً، وفي رشفة واحدة ابتلع نصف محتويات الكوب فيما شعرت أليكس ان عينيها قد تحولتا بشكل عفوي إلى عنقه الاسمر. فسرى من عنقها إلى وجهها دفق من الدماء جعله يتورد، فاشاحت وجهها عنه بسرعة وكرهت نفسها لافكارها العابثة وردة فعل احاسيسها. ورغم انه لم يلمسها فإن شعورها بضعف ارادتها كان لا يحتمل. فما عادت قادرة على الجلوس بهدوء لذا سارت ووقفت قرب النافذة، وتوترت عندما رأت انعكاس صورة بيرس متجه نحوها لينضم اليها.

قال متأملاً بتكاسل: «استنتج من ردة فعلك انك اخبرته عن عرضي، ولم يرفضه؟»

قالت له بسخرية وشعور بالكره: «كنت تعرف انه لن يرفض، لذا طلبت مني ان اتكلم معه في ذلك، وكنت تعرف بانني أردته ان يساندني. تباً، لا بد أنه أمر رائع بأن تكون رجلاً محقاً طوال الوقت!»

«لو انني اعتقدت انك تعتقدين ذلك فعلاً، لكنت جادلتك بالأمر. انك غاضبة فقط لأنك لا تملكين سبباً يجعلك ترفضين عرضي.» اثارت تلك الكلمات غضبها بقوة مما جعلها تستدير نحوه وتصرخ في وجهه بازدراء قائلة: «سخطي»! لدي كل الاسباب لارفضك. قد يعتقد والدي انك الأفضل منذ زمن. لكني اعرف اكثر منه. اليس كذلك؟ وانه لا يعارض الزيجات المنظمة ايضاً وهو امر مناسب جداً، لأنه ليس هناك من يقوم بتنظيمها افضل منك لتناسب هواك.»

نظر بيرس إلى وجهها المفعم بالحيوية والنشاط متفحصاً كل قسمة من قسماته على حدة. ثم قال لها برقة: «انك جميلة جداً. وفي الحقيقة، انت ما زلت اجمل امرأة رأيتها في حياتي.»

اتسعت عيناها بارتياب وقالت بدهشة: «ماذا؟» وجعلت ردة فعلها تلك ابتسامة باهتة تظهر على شفتيه.

قال: «كنت الاطفك.»

هزت أليكس رأسها ساخرة من الدفاعات التي تجنبتها ببراعة وقالت: «حسناً، لا تضيع وقتك، فما عليك ان تكسيني بالكلمات الفارغة، انك تمسك بكل الأوراق. ولا افترض انك فكرت للحظة انني قد ارفض. انني احب والدي كثيراً مما يمنعني من رفض العرض الوحيد الذي لدي، مهما تكن رغبتي في ذلك.»

تنهد بيرس بعمق، ثم قال بايجاز: «ليس على زواجنا ان يكون ساحة معركة، يا أليكس.»

قالت رافضة ذلك: «في ما يعني، فانه لا يمكن ان يكون غير ذلك. او هل تتصور انك ستنال من نفس الفتاة الساذجة

www.liilas.com

الحمقاء كما من قبل؟ تلك الفتاة لم تعد موجودة، انت قتلتها يا بيرس. سوف تحصل علي كما انا، وان لم يعجبك ذلك فما عليك الا لوم نفسك. هل هذا واضح لك؟»

نزع بيرس نظارته بكل تانٍ ووضعها جانباً، وبعد ذلك عندما اولاها كل اهتمامه من جديد، كانت عيناه مليئتين بالعزم والتصميم. واجابها: «جعلت نفسك اكثر من واضحة على أية حال، ان تصورت انك باعلانك عن عدم حبك لي وما قد يترتب عن ذلك سوف تجعلينني أغير شروطي، فانك مخطئة. ستكونين زوجتي، بكل ما في الكلمة من معنى.»

صرت أليكس على اسنانها، متيحة لنفسها ان تعيد إليه نظراته بكل الازدراء الذي استطاعت ان تجمعه وقالت: «ما كنت لاحلم بالرفض، وعلى كل حال، فانها قضية شرف، وانت ستخسر تلك الحقوق بالزواج مني. أليس كذلك؟ لكن هناك شيء اخطأت في حسابه، وهو انني لست مرغمة على الاستمتاع بذلك.»

لسوء الحظ فإن ذلك ادى فقط إلى ظهور بريق مزعج في عينيه، وخطى خطوة ليصبح على مقربة اكثر منها، وتمتم على نحو خطر قائلاً: «هل تقترحين انك لن تفعلي؟ ان ما قلته الآن جملة ساذجة، فلدي ذكرى قوية كيف انك فعلت ذلك من كل قلبك.»

اجابته بقوة: «كان ذلك قبل ان أكرهك.» ثم شهقت عندما امتدت يداه لتشد على كتفيها، فامرته قائلة: «اتركني يا بيرس. ويحك، قلت اتركني!» رفعت نظرها إلى وجهه، فرأت في عينيه نظرة تصميم مما جعل قلبها يخفق بجنون.

قال: «عندما تكون جاهزاً.» ثم اضاف بسخرية: «على أية

حال، لقد اخبرتني لتوك بأني اشتريتك، لذا استطيع ان افعل ما أريده، أليس كذلك يا حبيبتي؟»

ثم فجأة، عاد كل شيء إلى نصابه ثانية، ترك يدها ومشى نحو النافذة. كان بيرس يقف هناك ينظر إليها بتأمل، وتلاشت الحرارة في لحظة، تاركة اياها مرتجفة.

قال بيرس بسخرية جارحة: «يبدو ان ليلة زفافنا ستكون هادئة جداً. يبدو ان كرهك قد اضاف نكهة خاصة إلى الصفقة.» استرد نظارته وعبر الغرفة ليملأها بشخصه من جديد.

احنت أليكس رأسها وقد شعرت بالغثيان لحالها.

سالها: «هل تناولت طعامك؟»

لم تكن تتوقع ذلك السؤال العادي اطلاقاً، فاجابته بصدق وان كان بغطاقة: «لا.»

قرر بيرس قائلاً: «سأطلب طعاماً إلى هنا.» وسار نحو الهاتف وهو يتابع قائلاً: «لدينا اشياء لنناقشها، ولا اريد ان افعل ذلك في العلن. هل انت موافقة؟»

سالته أليكس بسخرية: «وهل عندي خيار؟» وهي تحاول بجهد لأن تجد نوعاً من الهدوء يتماشى مع هدوئه.

قال لها بايجاز: «بالطبع عندك خيار. أنا لست مسخاً. تعرفين ذلك.» ثم كان عليه ان يغير نبرة صوته فيما أجابه احدهم من مكتب خدمة الغرف ثم كان عليه ان يحوّل كل انتباهه إلى طلب الطعام.

لم تهتم أليكس من ناحيتها لما طلبه، فقد كانت تشك في انها ستكون قادرة على تناول اي شيء. سارت إلى اقرب كرسي وغرقت فيها بامتنان. فقد كانت تشعر بتعب شديد،

www.liilas.com

فاسقطت رأسها إلى الوراء على ظهر الكرسي اللين، واقفلت عينيها، ما قد تعطيه لتتمكن من التوقف عن التفكير قد تعطي اكثر منه بعشر مرات مقابل ان لا تشعر بهذا الحب نحو بيرس. كانت تعتقد انه انطفأ، لكن في اللحظة التي رأته فيها من جديد عادت بها الذاكرة إلى الوراء. حتى الآن فان ما يخالجها يجعل من اعتقادها بانها نسيته، اعتقاد كاذب...

ليست مضطرة للاستسلام دون معركة. لقد قال ذلك هو بنفسه، عندما سألها ان كانت هناك أية طريقة افضل لها لتحقيق انتقامها من الزواج به. لم تفكر في ذلك حينها، لكنها اتركت الآن الفكرة، قد لا تستطيع التخلص من هذا الزواج لكنها ليست مرغمة على ان تكون زوجة صغيرة مطيعة، وعلى اية حال، انها تملك سلاحاً، فالمرأة لديها اسلحة خاصة بها، وحتى ان لم تربح الحرب يمكنها ان تتأكد تماماً ان عليه الفوز بعدة معارك ليكسب نصره!

جعلت تلك الفكرة ابتسامة ترتسم على شفتيها، واعادت اليها بعض قوتها المفقودة، وفتحت عينيها من جديد، لتجد ان بيرس يراقبها، وعيناه تلمعان ببريق يعكس نوعاً من الاستمتاع النفسي.

قال لها: «اتخططين لتدميري؟»

توترت اعصابها بشكل عفوي لتمكنه من قراءة افكارها، ولم تستطع ان تتحاشَ انقاد وجنتيها وكل ما استطاعت القيام به هو مواجهته بذلك، فقالت: «لِمَ لا افعل؟ فقد تعلمت شيئاً من زواجنا الأول، رغم قصر مدته. ان بامكان الانسان ان يحقق اي شيء تقريباً بالتخطيط إلى الأمام.»

وضع بيرس يديه في جيبي سرواله، ثم قال: «إذاً، أنت تخططين لاستخدامي كعملك المجسم؟»

رفعت أليكس كتفيها بلا مبالاة وقالت: «لِمَ ازعج نفسي بالبحث عن واحد آخر فيما لدي واحد استطيع التصرف به، اليس هذا كلام صحيح؟»

«لم يسبق ان كنت ساخرة هكذا. أتنكرك تنظرين إلى العالم بتفكير منفتح على مباهج الحياة.»

ضحكت لكلماته تلك لأنه بدا خائب الأمل فقالت: «آه، حسناً. يقولون ان الزواج قد يكون عاملاً فعلياً لرؤية الأمور على حقيقتها، وزواجي كان زواجاً رائعاً جداً، وانت تعترف بذلك؟»

هز بيرس رأسه بسخرية تقريباً، ولو خانته ضحكة رقيقة رغم انها كانت تحوي القليل من الملاطفة، وقال: «لن تغفري لي ابداً ذلك، أليس كذلك؟»

قالت له بحدة: «ان كان هذا ما تريده فانك ستنتظر طويلاً. وفي الحقيقة لو كنت مكانك لكنت فكرت ثانية وجدياً بامكانية التقمص، لأنه لن يكون هناك استبداد من قبلي في هذه الفترة من العمر!» تاركة عينيها تنقلان له كرهها عبر بريقهما.

لدهشتها فان بيرس لم يغضب، انما غرق في التأمل لكثر وردد ساخراً مستمتعاً بالكلام: «اني افضل فكرة اننا نمضي السنوات معاً. دائماً معاً.»

طقطقت أليكس اصابعها بانزعاج وقالت بشكل لاذع: «لا تكن معتداً كثيراً بنفسك. فما من شيء يؤكد اننا سنعود كبشر. فإن كان هناك اية عدالة فانك ستعود كحشرة صغيرة

www.liilas.com

استطيع ان اسحقها تحت قدمي.» واخذت تنظر بانزعاج إلى منظر بيرس وهو ينفجر ضاحكاً بلهو فعلي.

قالت له بالم: «يسعدني انني عملت على تسليتك.» فابتسم لها ابتسامة عريضة.

أجابها برقة: «آه، لقد فعلت اكثر من ذلك يا حبيبتي.»

قالت بنفور واضح: «ان كان بامكانك ابعاد تفكيرك عن هذه التصرفات فقد قلت ان لدينا اعمال لنناقشها.» لكن لسوء الحظ، تلك الكلمات جعلته يخطو نحوها بخطواته البطيئة.

ثم انحنى، وأمسك ذقنها بين ابهامه واصبعه، وقال برقة: «هكذا قلت، لكن لا تتصرفي بعلو وكبرياء هكذا، يا أليكس. كلانا نعرف انه لن يتطلب مني مجهوداً كبيراً لأسحبك معي إلى تلك التصرفات. اذا هدئي من غضبك، ولا تهتمي إلى حين احملك طائعة اعطيك الرضى الذي تتوقين إليه.» مما جعل لونها يتغير بسرعة وفمها يجف.

لمعت عيناها الرماديتان بدموع أبية وقالت: «انك....»

فاكمل عنها قائلاً: «شخص جدير بالازدراء وبدون قلب، أعرف، وسيكون من الاسهل لك ان تتذكري ذلك، ان كنت تريدين ان تحافظي على كبريائك الغالي دون ان يصاب بأذى.»

رغم ان أليكس استطاعت ان تجد اجابة لكن لم تتح لها فرصة لتقولها، لأن طرقة على الباب قد قاطعتهما. استوى بيرس في وقفته وهو يبتسم ابتسامة ساخرة.

قال: «انقذك جرس العشاء!» وذهب ليجيب، تاركاً أليكس جالسة ترتجف في كرسيها.

كيف بامكانها ان تعيش معه؟ أخذت تفكر بغضب، ثم انحنت كتفاها. وتساءلت كيف يسعها الا تفعل؟ فليس امامها من خيار. عندما يصل الأمر إلى بيرس مارتينو، لن يكون لها ذلك اطلاقاً.

www.liilas.com

الفصل السادس

بعد مضي يومين، وصلت أليكس إلى مكتبها وهي تشعر كانما قوة ساحقة تسيرها. فطالما انها اختارت موافقتها للزواج منه، فقد تحرك بيريس بما قد يسمونه، في ظروف اخرى، سرعة تستحق الاطراء والثناء. الا انها اعتبرتها سرعة غير لائقة، واستاءت لان اندفاعه حملها معه.

سكبت لنفسها فنجاناً من القهوة ووقفت تحدق إلى الخارج عبر النافذة، محاولة أن تخفي شعورها بان كل شيء يخرج كثيراً عن نطاق سيطرتها. وتساءلت عما يخبيء لها اليوم من صدمات. فقد اصر بيريس في الأمس على ان يذهب معها الى المستشفى ويلتقي اهلها. وساعدها انه قد توافق معهما على الفور، لكن رغم شعور الغضب الذي خالجها، لم تستطع الا ان تعجب بالطريقة التي سيطر فيها على الوضع، ووجدت نفسها تعطيه تقديرها الذي ضنّت به عليه.

وقد اذعن لرغبة والدها حتى عندما اسهب في اقتراحاته بأن يهتم بالاعمال. وكانت موافقته تلك مبنية على ان مديراً سيعين للاشراف على الشركة الى ان يشفى ستيفن ويصبح قادراً على مزاولة اعماله. كما وان نتائج التقرير المصنفة من قبل فريق ادارة بيريس لطرق التنظيم وتحسين الانتاج لا يمكن تطبيقها دون موافقة والدها الكاملة عليها، الأمر الذي، كان من الطبيعي، ان حصل عليه اضافة الى احترام ستيفن بتراكوس الكامل.

الأمر الوحيد الذي كان ليفسد المناسبة، هو اصرار والدها أنه لا بد من أن بيريس مغرم جداً بابنته ليكون بهذا الكرم واللطف. وهو واقع لم يحاول الشاب ان ينكره، انما عمل على تأكيد ذلك. وعندما افترقا اخيراً، بقيت مع الواقع المرير انه قد كسبهما، ورغم انها كانت تدرك ان ذلك كان خطة لتنهي اي قلق قد يخامرهما فانها شعرت باستياء مرير نحوه.

اطلقت تنهيدة عميقة وجلست الى طاولة مكتبها ومدت يدها على البريد، ودهشت عندما وجدت ان المغلف الأول يحمل اسمها، فضت الظرف وهي متجهمة ثم فتحت الورقة الوحيدة التي يحويها. كانت الصفحة تحوي بضع كلمات فقط، لكنها كانت كافية لتبعثها تتقد غضباً. كانت الرسالة من بيريس، تحدد اليوم والساعة والمكان لزفافهما. كانت تلك الكلمات بحد ذاتها بسيطة عدا انه ارسلها عبر مذكرة. وفي الواقع كان لديه الوقاحة لأن يحول عملاً سيغير حياتها الى نوع صغير من الاعمال...

غضبت كثيراً لدرجة انها اخذت ترتجف، وكانت على وشك ان تمسك الهاتف لكي تتصل به في الفندق حيث يقيم، وتقول له بعضاً مما تفكر به عندما سمعت رنين الهاتف في مكتب والدها. تملكتها الحيرة، لأن كل الاتصالات كانت تحول اليها خلال الاسابيع القليلة الماضية. وكانت على وشك النهوض لتذهب وتجيب عندما توقف الرنين وسمعت صوتاً مكتوماً لاحدهم يتكلم.

وفيما هي تعبر الغرفة لتتحرى من هناك كان لديها حس داخلي لمن قد تجده. لذا عندما فتحت الباب الذي يوصل

www.liilas.com

المكتبين، لم تفاجأ برؤية بيرس جالساً على كرسي والدها، يجيب بهدوء في محادثة هاتفية. عندما رآها، أشار لها كي تجلس. لكن، تلك الاشارة عملت على اثارة غضبها اكثر، فتجاهلته، واختارت ان ترميه بنظرة لا تستطيع ان تظهر له سوى نصف ما تشعر به.

لم يستعجل بيرس نفسه، فقد امضى نحو خمس دقائق قبل ان يضع سماعة الهاتف مكانها ويدير وجهه نحوها. في الوقت الذي كانت مستعدة فيه للانفجار.

فقالت متحدية بغضب بارد: «ماذا تفعل أنت هنا؟ كيف تجرأت واعتقدت انه بامكانك ببساطة الدخول الى مكتب والدي والاستيلاء عليه؟»

استدار بيرس نفسه إلى ظهر الكرسي الجلدي واخذ يتأملها بسخرية، ثم قال: «لمعلوماتك، يا حبيبتي، لا اعتقد انني احتاج القيام باي شيء، اعرف. لكن عندما ذهبت لرؤية ستيفن الليلة الماضية، اقترح علي ان استعمل مكتبه لكي اعمل على تنفيذ الخطط التي رسمتها، فوافقت.»

اوقف تقدمها فجأة، لذا لم تتبين أليكس باية كلمات اخرى كانت قد اعدتها، ووجهت غضبها عبر طريق آخر، فاجابته بشكل لاذع ومباشر جداً: «لماذا لم ابلغ بذلك؟ اعتقد الآن طالما انت المسؤول، لا أهمية لي هنا! ان كنت تجد صعوبة في اخباري ذلك وجهاً لوجه، عندها فانك ما يمكنك القيام به هو ان ترسل لي مذكرة!»

عند ذلك رفع بيرس حاجبيه بادراك مفاجيء، ثم مرر احد اصابعه بتأمل على جانب انفه وتأوه: «آه.»

كان ذلك الصوت كافياً ليجعلها تدرك انها خسرت

المعركة ولم تكسبها. أطلقت صوتاً يائساً من حنجرتها واستدارت لتبتعد قائلة: «لا أحب بأن اعامل وكأني فكرة لعينة خطرت على البال متأخرة!»

اجابها، دون ان يحاول اخفاء مرحه: «بما انك الشخص الرئيسي فانك لست كذلك. على أية حال، لقد كان لدي انطباع، واخبريني ان كنت على خطأ، بانك تريدين كل شيء ان يبقى ضمن طابع العمل.»

انه دائماً يقلب الأوضاع باستعماله كلماتها ضدها! لامت نفسها، واستدارت نحوه من جديد وقالت: «تهتم كثيراً بما أريده يا بيرس مارتينو، وبالنسبة للمحافظة على الطابع العملي بكل شيء، كيف تفسر وضعك حين كنت بالأمس تبذل مجهوداً كبيراً لتتظاهر بانك مغرم بي، كلانا يعرف انها كذبة، رغم انه علي ان اعترف بانها لا تتفوق على نظام خداعك.»

لم يرفع بيرس نظره عنها فيما هي تتقدم وقال: «لقد صدقتها والديك وذلك كان الهدف من العمل. او انك كنت تفضلين لو اخبرتهم الحقيقة المرة على اخبارهم كذبة مقبولة؟»

فصرخت قائلة: «حتى انت لا تملك الحس السيىء لدرجة ان تخبرهم انك تريدني مقابل الخدمات التي تقدمها.»

نهض على قدميه في لحظة، وكانت كل خطوة نحوها تطفح بغضب واضح مكبوت، وقال: «انك تدفعين بحسن طالعك نحو الطامة الكبرى، اليس كذلك، يا أليكس؟ ماذا تحاولين ان تجعليني افعل؟ ان اغضب كثيراً لدرجة ان انتزوجك بالقوة؟ وهكذا تتمكنين دائماً من الزعم بانه لم يكن لديك خيار؟ هل هذا ما تريدين ان يحصل فعلاً؟»

www.liilas.com

اضطربت أليكس من جراء موجات الغضب الجامح القادمة نحوها، واخذت تحدق به بعينين عاصفتين وقلبها يخفق خوفاً. فلم يسبق لها ان رأته غاضباً هكذا من قبل، وعرفت انها هي العلامة. لقد حان الوقت لتقوم بتراجع لبق، لذا اعترفت بصوت اجش قائلة: «لا.»

قال: «اذاً من الأفضل ان تراقبيني يا حبيبتي، وتتعلمي اين تتوقفي، انني مستعد لأن اعطيك مهلة معينة، لكن ان تدفعيني كثيراً فهذا يعني ان عليك تحمل العواقب.» ثم استدار مبتعداً عنها، والتقط شيئاً ما من على طاولة المكتب ومد يده ليعطيه لها، قائلاً: «هذه لك.»

استجمعت أليكس رباطة جاشها المهتزة بقوة وتقدمت نحوه، واستلمت الظرف من يده بسرعة، وكانه أفعى مستعدة لأن تلدغ. كان بداخل الظرف بطاقات شراء لبعض المتاجر المعروفة جداً، فرفعت نظرها بسرعة اليه مستفسرة.

فقال مقترحاً بهدوء: «ستحتاجين لجهاز عروس، لذا فمن الأفضل ان تأخذي عطلة بعد الظهر وتذهبي للتبضع.» ثم وجه انتباهه الى الأوراق التي على طاولة المكتب وكانما المسألة قد انقفلت الآن.

ان كان سيلزم حدوده، اذاً فهي ستفعل ذلك، لربما يكون قد اشتراها، لكنها لن تجاريه في ذلك! فاشارت أليكس قائلة بتهذيب: «لست بحاجة لأن تشتري أنت لي ملابسي يا بيرس. لدي اجر كاف خاص بي، واضافة لذلك، فاني لست بحاجة لأي ملابس جديدة.»

هز رأسه وقال: «اتعرفين؟ سيكون تغييراً جميلاً ان فعلت مرة واحدة ما يقال لك. على أية حال، يمكنني ان ألاحظ ذلك

مصممة على ان تتشاجري معي على اي شيء، اليس كذلك؟ لكن لسوء حظك انا مصمم ايضاً كما أنت. ولا يهمني كم من الملابس لديك، يا أليكس، فحسب خبرتي تستطيع المرأة دائماً ان تجد مكاناً في خزانتها للمزيد، تماماً كما ستفعلين.»

كانت معركة ارادات، وكانت ارادته هي الأقوى في هذا الوقت، لذا قالت له بتحد وبشيء يشبه كثيراً الاندفاع: «ان كان الأمر يعني لك هذا القدر فاني مندهشة لما لا تصر على القدوم معي.» سخافة اندفاعها تلك جعلتها تتوقف فجأة وقد ادركت انها تتيح له لأن يجعلها تتصرف بشكل مخالف تماماً لطباعها.

الا ان بيرس، من ناحية ثانية، كان مثالاً للهدوء الواثق والسيطرة فقال: «صدقيني، لكنت فعلت لو انني لم اكن مشغولاً جداً بانقاذ شركة والدك من الافلاس.»

اضطربت داخلياً من تذكير لم تكن في الحقيقة بحاجة اليه. كانت في قرارة نفسها تعرف انها يجب ان تكون ممتنة، لكنه جعلها غاضبة جداً طوال الوقت لدرجة ان ذلك الشعور يطغى على اي شعور آخر. عاودتها العقلانية لذا قررت ان هناك اكثر من طريقة واحدة لحث هرة على الاسراع، ولمزج المجازات، فقد يصر ان يقودها الى النبع لكنه لا يستطيع ارغامها على الشرب، لذا، فان هي أخذت البطاقات، لا يعني انها تنوي ان تنصاع الى امره. فقالت: «سمعاً وطاعة يا سيدي.»

وعلى أية حال، بدلاً من ان تثير كلماتها تلك غضبه بدا انها اعادت اليه حسه الساخر، لأنه نظر اليها بمرح ظاهر

www.liilas.com

قائلاً: «ساكون منزعجاً جداً لايجاد اي شخص قليل الشان مثل العبد المذعن، وعندما يصل بي الأمر للتفكير بذلك اجد انني لا اريدك الا كما انت، وليس باية طريقة مختلفة. فذلك يجعل كل مناورة تبدو وكأنها مغامرة.»

تجهمت أليكس وهي تنظر إليه، وقالت: «كيف يمكن أن يكون ذلك فيما أنت قد...؟» وخفتت الكلمات وشعرت بدفق رقيق من الدماء يغزو وجنتيها.

اكمل عنها بصوت ناعم قائلاً: «قد حصلت عليك؟ صحيح، لكنك كنت تحبينني حينها، وأنت لا تفعلين الآن.»

قالت له بحدة: «لا اعتقد انني استطعت ان احبك يوماً.» ثم سارت نحو الباب.

اتكأ بيرس على طاولة مكتبه ولف ذراعيه فوق بعضهما البعض وقال لها: «لو انك لم تفعلي، لما استطعت ان تكرهيني هكذا ولهذه الفترة الطويلة. لكن من قال انه حينما ينتهي الحب يبدأ الكره؟ أنت لم تنسيني يوماً، تماماً مثلي أنا... فتلك الشعلة ما زالت موجودة بيننا، مهما تكن رغبتك في ان لا تكون موجودة.»

حدجته أليكس بنظرة عاصفة فيما هي تقبض باحكام على مسكة الباب وقالت له: «النزوة ليست حباً، يا بيرس، انت علمتني ذلك، الآن اصبحت اعرف الفرق، ولن اخطىء في معرفة زيف الشيء الحقيقي ابداً.»

قال بصوت اجش: «انني سعيد لسماع ذلك.» ثم نظر الى ساعته واضاف: «عليك ان تذهبي الآن، ولا تتصوري انك تستطيعين الافلات بمجرد الاختفاء بعد ظهر اليوم والتظاهر فقط بانك تتسوقين. فسوف امر بك عند الساعة

الثامنة لاصطحبك الى العشاء، واتوقع ان ارى نتائج ما قمت به بعد الظهر. هل هذا واضح؟»

انتابها للحظة شعور مزعج بانه يستطيع قراءة افكارها، وابتسامته الرقيقة الساخرة اكدت ذلك. اصيبت باحباط، فردت عليه بطيش وهي تبتسم متمتمة بعذوبة: «وكأنني سافعل شيئاً كهذا.» فضحك.

ردد فيما هي تخرج من الباب قائلاً: «احم، كأنما! صيد ممتع.» وفكرت أليكس لو انها تملك بندقية لعرفت تماماً اي حيوان ترغب في اطلاق النار عليه. ثم، عكس رغبتها، أظهرت تلك الفكرة ابتسامة على شفتيها، مما جعلها فعلياً مبتسمة فيما هي تلتقط حقيبتها وتتجه لتخبر روث انها لن تعود اليوم.

كانت سكرتيرتها يقظة للتوّ: «حسناً، انك بالتأكيد تبدين اكثر ابتهاجاً.» فرمقتها أليكس بنظرة ساخرة.

قالت لها: «الأشياء الصغيرة تسر العقول الصغيرة. عندما تنتهين من هذه الرسائل يا روث، ربما من الأفضل ان تقدمي خدماتك الى السيد مارتينو، انه سيستخدم مكتب والدي خلال الأيام القليلة المقبلة.» وكانت على وشك الذهاب عندما خطر لها شيء آخر، فاضافت: «آه، وان طلب احدهم مقابلتي فمن الأفضل ان تحوليه له ايضاً. اراك غداً.»

حالما اصبحت خارجاً في الشارع، اخرجت البطاقات واخذت تنقر بتأمل عليها بظفر ابهامها. كانت ردة فعلها الغاضبة الأولى التي تملكتها هي ان تمزقها. لكن الآن خطرت لها فكرة افضل، ان كان بيرس يريدها ان تنفق ماله،

www.lifas.com

فانها ستفعل، ولأول مرة في حياتها لن تزعج نفسها بالتحقق من ثمن اي شيء تشتريه.

كانت تعتمد دائماً قاعدة لها عندما تشتري، ان تبقي مقياس المتانة وقيمة المال في فكرها دائماً، معتبرة انه من الحماقة الانفاق فقط لأنها تملك المال. لذا فان موجة من الندم خالجتها عندما رأت مجموعة العلب التي وضعت في سيارة الأجرة بعد زيارتها لأول متجر، ثم وبخت نفسها بقسوة، لأن الشفقة لن تفيدها بشيء ضد رجل قوي الارادة مثل بيرس، عليها ان تبرهن له انها ليست مجرد انتصار سهل، والفرص للقيام بذلك قد اثبتت انها قليلة ومتباعدة.

رغم ذلك عندما ذهبت الى المنزل اخيراً، ورأت نتيجة جهودها منتشرة حولها وقد تكدست فوق كل كرسي وملأت كل سجادة غرفة الجلوس تقريباً، تساءلت ان كانت قد بالغت بما فعلته... ثم قررت ماذا تفعل، انها لا تستطيع ارجاعها، ولذا عليها ان تواجه ذلك بتحد، ومع تلك الفكرة اخذت تفتح العلب وتضع محتوياتها هنا وهناك. شعرت بعد ذلك انها بحاجة لشيء ينعشها فاعدت لنفسها بعض الشاي والخبز المحمص.

ومع توقع وصول بيرس عند الساعة الثامنة، اسرعت أليكس لتستحم وتغسل شعرها، وفيما كانت تجففه وهي جالسة الى طاولة الزينة وقد غمرها شعور بالصفاء، وقبل الموعد المحدد بساعة، دق جرس الباب الأمامي. ذهبت لترى من الطارق وهي ترتدي معطفاً طويلاً حتى كاحلها ازرق اللون، مما اضفى عمقاً على عينيها الرماديتين.

بدا بيرس وسيماً ورائعاً في بذلته الأنيقة الصنع، نظر اليها للحظة صامتاً قبل ان يعلق بجفاء قائلاً: «هل هذا يعني انك جاهزة للذهاب او ان جهاز التدفئة المركزية قد تعطل؟»

حاولت أليكس ان تعيد الاستقرار لخفقان قلبها المضطرب بجنون من تفوذه القوي، هزت رأسها وتراجعت إلى الوراء لتفسح له المجال للدخول. سارعت في الاجابة عليه رغم انها حاولت ان تبقي ما ورد في فكرها قائلة: «لا هذا ولا ذاك. هذا المعطف واحد من المشتريات التي اردت رؤيتها.» ومشت امامه نحو الصالة رغم احساسها بوجوده وراءها وكانه يحاول ان يمسك بها.

تابعت سيرها نحو منتصف الغرفة حيث توقفت لتواجهه. نظر إلى المكان وقد رسم على شفتيه ابتسامة، فيما وضع يديه في جيبي بنطاله، رفع نظره نحوها وقال: «هل كنت تأملين ان تفلسي المصرف؟ ان كان الأمر كذلك سأخبرك ان تصرفك هذا لن يؤثر فيه.»

قالت: «على العكس، طالما انك لم تضع حداً، ظننت ان علي ان اقحم نفسي وأجهزها من الرأس حتى أخمص القدمين.» وبحركة منها لتظهر له حجم ما اشترته، بسطت ذراعيها وأشارت حيث وضعت باقي الثياب، وأضافت قائلة: «كل شيء تراه قد اشتريته على حسابك.» وسمعت بهدوء بيرس وهو يلتقط انفاسه.

بدا عليه التوتر الشديد، الأمر الذي جعلها تقرر فجأة انها قد تمادت كثيراً. بلعت ريقها بصعوبة وحدقت به لترى الاحمرار القاتم يعلو وجنتيه. اخرج يديه بهدوء من جيبيه ووقف منتصباً.

www.liilas.com

قال بنبرة غريبة وهو يخطو نحوها: «اعتقد انك ادرجت نفسك ضمن هذه المشتريات؟»

عرفت انها قللت من قدره كلياً. كانت تنوي ان يكون الأمر بمثابة صفعة على الوجه، لكنه ضاع بتهور دون التفكير بكل العواقب الممكنة، ووقفت ثائرة لمواجهة الهجوم. لم تشأ ان تلوذ بالفرار وهي تجر ذيل الخيبة.

نظرة بيرس المتمعنة جعلت خديها تتقدان احمراراً وقد بذلت جهداً لتحافظ على هدوئها بدلاً من ان تنفجر غضباً. فقد رمت قفاز التحدي ليلتقطه هو. شعرت بالخوف عندما عرفت انها جلبت ذلك لنفسها نتيجة تهورها وعليها ان تبقى حتى ترى النهاية المرة.

أمرها بصوت اجش قائلاً: «استديري!»

نظرت اليه أليكس غير مصدقة وقد شهقت مرتعبة وقالت: «لا لست جاداً فيما تقول!»

بدت ابتسامة بيرس مثل لسعة الأفعى عندما قال: «الم تكوني جادة؟ قلت انك اشتريت كل شيء استطيع رؤيته، حتى انك أتعبت نفسك بنثرها هنا وهناك حتى اتفحصها.»

حاولت أليكس ان تضحك يائسة وقالت محتجة: «لكن الأمر كله كان مزحة!»

قال بيرس متحدياً بطريقة ساخرة: «حقاً؟ حسناً. انني لا اراك تمزحين يا أليكس وأنا كذلك. اردت رؤيتي مهاناً لكني تخطيت سزحتك الصغيرة. والآن حان دوري، عليك ان تتقبلي ذلك يا عزيزتي، هناك طاولة محجوزة الساعة الثامنة والنصف ولا اريد ان أذهب متاخراً.»

استدارت الكس مطأطأة رأسها لتخفي دموعها الحارة

وقد شعرت بالاذلال. كان المفترض ان تكون هي من يتفرس النظر لكن الأمور آلت الى النتيجة الخطأ. نظرت حولها طلباً للهرب. لم تكن غرفة النوم بعيدة جداً، لكنها شكت في ان تصل اليها، لأن بيرس كان في منتصف الطريق بينها وبين الباب.

نظر في عينيها المليئتين بالدموع وقال: «ايتها الغبية الحمقاء. الم تتعلمي بعد انه لا يجدر بك نفعاً التلاعب معي؟ هيا اذهبي... ويمكنك ان تنسي موعد العشاء، لقد فقدت شهيتي، الساحة لك يا أليكس، اترك لك امر قيادتها. اتمنى ان يكون النصر يستحق هذه المعركة.»

عضت أليكس بقوة على شفتها فيما هي تراقبه وهو يستدير ليغادر الغرفة. وبعد دقيقة سمعت صفقة الباب الأمامي. شعرت وكأنها حمقاء وحدقت في مشهد الاذلال كان مؤقتاً. أرادت ان تشعره بالخزي لكنها هي من شعرت بانها رخيصة. كانت الثياب تعيد اليها نظرتها بسخرية فتمنت لو انها لم ترها.

غمرها شعور بازدراء النفس، فذهبت لتأخذ دوشاً علها ترتاح، لكنها كانت تعرف ان غسل تلك الذكرى من عقلها يتطلب اكثر من ذلك. وهكذا بقيت طوال الليل تدور وتتقلب على فراشها ولم تستطع ان تنام جيداً. وقررت خلال احدى تلك الساعات التي مضت عليها دون ان تستطيع النوم بان عليها الاعتذار، وان كانت معظم الكلمات قد يعلق في حنجرتها.

لذا لم يكن من المدهش اطلاقاً انها استغرقت في النوم صباحاً، وطالما ان ذلك قد حصل، قررت بانه لا داعي للعجلة

www.liilas.com

لقد تأخرت على موعد العمل، لذا فان قليلاً من التأخر الزائد لن يشكل اي فرق. استغلت الوقت لترغم نفسها على تناول بعض الخبز المحمص، وللاعتناء بمظهرها. وبما انها كانت تريد ان تبدو هادئة ومسيطرة على نفسها، لجأت إلى استعمال المكياج لتخفي الارهاق الذي نتج عن عدم قدرتها على النوم خلال الليل، واختارت ان ترتدي بذلة ذات لون رمادي فاتح مع بلوزة حمراء اللون. واخيراً، اتجهت إلى المدينة وهي تشعر وكأنها امرأة مدانة.

رغم كل جهودها التي بذلتها، لم تكن مهيأة لرؤية العيون تتحول إليها بعدما ساد الصمت عندما دخلت إلى القاعة التي كانت تضج بالحركة الغريبة. لماذا كان كل واحد يبتسم ابتسامة عريضة؟ سارت إلى ردهة الاستقبال في مكتبها ورأت روث، التي كانت تنتظر وصولها بفارغ الصبر كما كان واضحاً.

ابتسمت ابتسامة عريضة وامسكت بصحيفة، وضعتها سكرتيرتها فوق رزمة من الرسائل، فقالت لها السكرتيرة: «انك بالتأكيد تعرفين كيف تكتمين سراً، يا أليكس! ما من احد منا توقع ذلك ولا حتى من خلال طريقة تصرفاتك. تهانينا. اتمنى لكما كل السعادة.»

وفيما هي تنقلب بتعجب بين رزمة الرسائل، نظرت أليكس إلى سكرتيرتها بارتباك وسألتها: «عمَّ تتكلمين؟»

اجابتها روث، وهي تمد لها صحيفتها: «الزفاف، الاعلان عنه موجود في كل الصحف. الا تعرفين ذلك؟ ربما ان السيد مارتينو اراد ان يجعل ذلك مفاجأة.»

لقد فهمت الأمر اخيراً. رسمت أليكس ابتسامة واخذت

الصحيفة وقالت بشكل موجز: «لقد توقعت هذا.» وألقت نظرة على كل رسالة من الرسائل مرة ثانية، واخذت تمتص شفتيها. كانت كل تلك الرسائل، عدا القليل منها، من اشخاص رفضوا مساعدتها قبل بضعة أيام فقط. أما الآن ومع وصول بيرس، فإنهم لم يستطيعوا الاتصال بالسرعة المطلوبة. كان من الصعب ان لا تشعر بالمرارة، ولم يسهل الأمر اطلاقاً دخولها إلى مكتب والدها ومواجهة بيرس.

رفع نظره عن الوثيقة التي كان يطلع عليها، ثم اخفضه بيطء نحو طاولة المكتب فيما تقدمت هي نحوه. وسألها: «ماذا يمكنني ان افعل لك، يا أليكس؟» وهو يكاد لا يخفي نفاد صبره.

كان اسلوباً كافياً لتراجع على الفور. فكانها سيطرت على اعصابها لتطلق سؤالها النقدي اللاذع قائلة: «لماذا لم تخبرني بشان اعلان موعد الزفاف؟»

تنهد بيرس، ثم نظر اليها نظرة متفحصة وقال: «ربما لأني لم ارغب في مناظرة معك، لكن يبدو وكأني سأحظى بواحدة على أية حال، اليس كذلك؟»

«لم آت إلى هنا للشجار، يا بيرس. أثبت لاعتذر.» استطاعت، على الأقل، ان تقول تلك الكلمات دون ان تخنقها.

اجابها بسخرية رقيقة: «انه شيء جديد الآن!» وعلى الفور شعرت ان حرارتها ارتفعت.

سألته بشكل لاذع: «هل تقبل هذا الاعتذار ام لا؟»

قال: «عجيب كيف انه يبدو وكأنه اعلان عن حرب.»

«ذلك لأنك دائماً تقول شيئاً يثير جنوني! لو انك تصمت لخمس دقائق، فقط يمكنني ان اقول كلماتي وامشي!»

www.liilas.com

ولدهشتها العظيمة، ضحك ثم قال: «سوف تصبحين في السلك الدبلوماسي، حسناً، اليك المنبر، يا آنسة بتراكوس.»

كافحت لتبقي صوتها معتدلاً، ثم قالت: «أدركت ان ما فعلته الليلة الماضية كان سيئاً، اني آسفة.»

ساد الصمت لثوان قليلة قبل ان يجيبها قائلاً: «هل هذا كل ما في الأمر؟ حسناً، قبلت الاعتذار.» ومد يده نحو الوثيقة من جديد.

اقترت شفتي أليكس عن تنهيدة صغيرة وسألته بتعجب: «أهذا كل ما يمكنك قوله؟»

بدا بيرس مستمتعاً ببرودة، حيث سألها: «ربما كنت تتوقعين شيئاً آخر؟»

أصوت على اسنانها بشكل يمكن سماعه بوضوح، وقالت بازدراء: «اعتقدت انك انت نفسك قد تريد الاعتذار.»

هجره كل لهو، وقال لها بفظاظة: «لماذا؟ لأني مزمنك في لعبتك؟ ربما كنت لأفعل ذلك لو اني فكرت انك لا تحاولين شيئاً في اللحظة التي ادير بها ظهري. لكن فيما أنت هنا، هناك بعض الأشياء التي يجب عليك معرفتها. من الأفضل ان تجلسي.»

كان مذلاً! بدا انه يعتقد ان باستطاعته ان يقول كل ما يريده، ومن ثم يتوقع منها ان تجلس لتتحادث معه بارتياح! فقالت: «شكراً، لكني افضل ان اقف.»

لم يرفع بيرس صوته عندما قال: «اجلسي يا أليكس، او اني سأذهب اليك واجعلك تفعلين ذلك.»

بعد الليلة الماضية، قررت ان التعقل هو افضل جزء من الشجاعة وبسرعة جلست في المعقد المقابل له.

ابتسم لها ثانية، واستوى في جلسته ووضع ساقاً فوق الأخرى، ثم قال: «مرتاحة؟ سأحاول ان لا استبقيك طويلاً فانا اعرف ان وقتك ثمين. سيسرك ان تعرفي باننا سنذهب في شهر عسل قصير بعد الزفاف، لذا فمن الأفضل ان تجهزي نفسك للرحيل. كما بامكانك ايضاً، أن تخطري دائرة الموظفين لتضع اعلاناً عن وظيفتك، بهذه الطريقة نكون مستعدين لاجراء المقابلة حالما نعود.»

كانت أليكس مذهولة جداً لدرجة انها لم تستطع ان تنبس بكلمة لدقيقة او دقيقتين، ثم تدفقت الكلمات فقالت: «ماذا تعني، بان اعلن عن وظيفتي؟ لقد عملت بجد كثيراً لاحصل إلى مناد، ولكون غبية ان سلمت وظيفتي لك او لأي كان!»

عقال لها: «على الرغم من ذلك فان وظيفتك ستبقى شاغرة.» وحدجها بنظرة صارمة ثم اضاف: «ستكونين زوجتي، يا أليكس. لا يمكنك ان تتصوري فعلياً بانه يمكنك البقاء هنا عندما اذهب أنا إلى المنزل. فبالرغم من اني املك بيوت في معظم عواصم العالم، إلا ان منزلي هو في الولايات المتحدة. وكذلك زوجتي. أنت ستعيشين هناك معي.»

قالت بتحد: «وماذا عن مستقبلي المهني؟»

اجابها بيرس بدون اهتمام: «اخشى ان ذلك لم يعد له اهمية كبيرة، هل يهمك ذلك فعلاً؟ أتتذكرين انك اخبرتني ذات مرة ان ليس في نيتك بان تكوني زوجة عاملة.»

كانت كلمات غير ضرورية، لاعادة تذكيرها بسذاجتها. فقالت: «كان ذلك في الماضي، ان مستقبلي المهني اصبح مهماً بالنسبة لي الآن، يا بيرس.»

www.liilas.com

اجابها: «لن يكون كذلك عندما يصبح لك عائلة خاصة بك أو هل انك نسيت ان زواجنا سيكون زواجاً حقيقياً، يا حبيبتي؟»

ردت عليه قائلة: «يفترض ان يكون الزواج الحقيقي مشاركة، والمفترض ان يكون هناك احترام متبادل ونحن لا نملك أياً منها، فخياري الوحيد هو ان افعل تماماً ما تقوله، اليس كذلك؟»

اجابها بيرس ببرودة: «هل سمعت المثل القائل، من يدفع ثمن انغماسه في اللهو يتحمل العواقب؟ وحتى الآن، كان كل العطاء من جانبي.»

جفلت أليكس وقالت بصوت منخفض: «فيست، انك تعرف حقاً كيف تحمل شخصاً على كرهك، اليس كذلك يا بيرس؟ اعتقد ان شهر العسل هنا هو حيث سأبدد اول دفعة.»

قال لها بهدوء: «ما من أحد منا يستطيع ان يهرب من قدره، يا أليكس.»

فهزت رأسها وقالت بحدة: «تتكلم وكأننا لا نملك اية سيطرة على حياتنا، وكان ليس لدينا عقل نفكر به، لن اسلم بمعتقداتك.»

علّق بيرس قائلاً بسخرية: «ربما انك تصدقين بذلك بقدر ما ارغب، وأنا حقيقة لا املك متسع من الوقت لمناقشة النقاط الفلسفية الأفضل معك. ان فريق عملي سيصل اليوم ولدينا الكثير من العمل لننجزه قبل الزفاف. وأنت يجب ان تهتمي بإخلاء مكتبك ايضاً.»

قررت أليكس الانصراف دون ان تقول شيئاً، فالجدال كان عقيماً واي شيء قد تقوله سوف يتجاهله على أية حال.

نهضت وعادت الى مكتبها، المكتب الذي لن يكون لها لفترة طويلة بعد. سارت إلى النافذة، ونظرت بعينين عاصفتين إلى منظر لندن الرائع فشعرت وكأنها تسلب السيطرة على امرها، وكأنها بعد وقت ليس بطويل، لن يبقى هناك شيء من أليكس بتراكوس التي عرفتها، كل ما استطاعت القيام به هو اخذ عهد على نفسها بالا تستسلم دون قتال، وتتأكد بأن اي نصر يحرزه بيرس سيكون نصراً فارغاً.

www.liilas.com

الفصل السابع

جرت مراسم الزفاف بعد يومين، كان حدثاً هادئاً حسبما اقتضت الظروف، واقتصر الحضور فقط على والدتها وصديق مرافق لبيرس. لم تشأ أليكس ان يتم الزفاف بطريقة أخرى، لأن حقيقة زواجها كانت مدعاة للسخرية بالنسبة لما كانت تؤمن به دائماً تجاه هذا الرباط المقدس. الأمر الوحيد الذي جعلها تقبل بكل هذا هو التفكير بمصير والدها.

كان الاحتفال قصيراً. اختارت أليكس ثوباً حريرياً ملوناً بالعاج ووضعت على رأسها تيجة تتماشى مع لون الثوب وقد غطى منها حجاب مثقل بحبات اللؤلؤ. وقد حملت بين يديها باقة من الزهور دفعها إليها والدتها عندما وصلت. ما بقي في ذاكرتها من تلك المراسم، تصرفات بيرس المدهشة. فقد تدبر اظهار القسم الذي تبادلاه ان يبدو جدياً والتي عرفت مسبقاً انه غير ممكن، الأمر الذي احدث قشعريرة في عمودها الفقري.

جاء حضور المصور مفاجأة عندما سارا سوية تحت اشعة الشمس. كان عليها ان تعرف ان بيرس لن يفوت حدثاً كهذا دون تسجيل. لكنها شعرت في قلبها ان التصرف هذا بدا ليزيد من حجم الكذب. لحسن الحظ لم تكن هناك حفلة استقبال. كان ترتيباً مثالياً بالنسبة لأليكس لأنها شكت في قدرتها اخفاء عدم توافق العروسين والمقتصر على تبادل

بعض الكلمات. فمنذ مواجهتهما الأخيرة كانت الأجواء بينهما ما زالت باردة أشبه بالجليد.

قال المصور الذي لم يكن يعرف طبيعة الجو السائد بينهما أو تعمد تجاهله: «اريد اخذ صورة لك وأنت تحضن العروس.»

ادارت أليكس وجهها تجاه زوجها طائعة فيما تمنت لو انها ترفض هذا الطلب، غير انها لم تجرؤ على فعل ذلك عندما رأت والدتها تراقبها وكذلك الحشد الصغير الذي يتطلع اليها.

وفيما وضع بيرس يده على كتفها، قالت له بايجاز: «شعر وكاني فقمة!»

اجابها بصوت الجش: «ربما، لكن فقمة كميتك.»

ابتسم وقال: «هذا يكفي.» قاطعاً عمل المصور ثم استدار نحو والدتها وأضاف: «اين لم نذهب الآن، سفوتنا الطائرة اعتني بنفسك، يا إميلي، وقولي لستيفن ان لا يقلق خلال غيابنا، هناك فريق عمل جيد يتولى المسؤولية، لذا فكل ما عليه ان يفعله هو التركيز على ان يتعافى بسرعة.»

انحدرت دموع إميلي بتراكوس كردة فعل فيما كانت تقبل وجنته، ثم استدارت نحو ابنتها وعانقتها قائلة: «تبدين جميلة، كوني سعيدة يا حبيبتي، ان بيرس رجل طيب وسيعتني بك جيداً.»

هذه الثقة، التي شعرت بها تجاهه يوماً، جعلتها تشعر وكان شيئاً ما قد علق في حنجرتها، على أية حال، لم تكن طبيعة أليكس تسمح لها بان تصدم والديها، لذا قابلت العناق بمثله بسرعة لتخفي اليأس الذي خافت ان يظهر في

www.liilas.com

عينيها، واجابتها: «اعرف انه كذلك، وسابذل قصارى جهدي.»

كان كل ما عليهما القيام به، هو الصعود إلى السيارة والتلويح بايديهما مودعين فيما بدأت رحلتهما إلى المطار. عضت أليكس على شفتها عندما لوحت بجنون تلويحة رافقتها دموع عاطفية بشكل طبيعي. لم تكن الأمور طبيعية ولا يمكن أن تكون كذلك، على الأقل لم يكن عليها التظاهر أمام بيرس، فإنه يعرف تماماً ماهية مشاعرها. لوت شفتيها بسخرية عندما نظرت إلى الباقة التي ما زالت تمسكها بيدها، ثم رمتها جانباً في الرقعة التي تعمدت ابقاءها بينهما.

لدهشتها سمعت بيرس يتحرك، وعندما نظرت حولها اكتشفت انه قد التقطها.

قال برقة: «الأزهار ليست عدوتك يا أليكس.» ثم اخذ يسوي الأوراق التي تضررت وتابع قائلاً: «رغم اني اتصور بأنني أنا هو من ترغبين بتركه محطماً.»

اجابته بايجاز: «انت لا تتحطم، لأنك مكوّن من الحجارة الصلبة.» ونظرت إليه بحيرة وقد انحنى ليضع الباقة على المقعد الأمامي إلى جانب السائق. وكان يتحدث طيلة ذلك الوقت باللغة اليونانية مع السائق، الذي جال معه في كل العالم، كما علمت.

عاد ليستوي في مقعده، ثم مال بجلسته ليتمكن من النظر اليها بسهولة اكثر، واجابها: «بعض الاحجار يمكن كسرها ان ضربتها في المكان الصحيح.»

فسألته بانكار ساخر: «اتعني، اني ان استمريت بالبحث سأجد نقطة ضعفك؟»

ارتسمت ابتسامة على طرف شفتيه وقال: «ان هذا واضح جداً لاشخاص يملكون عيوناً ترى. من يعرف؟ ان عرفتها قد لا ترغبين بتحطيمها اطلاقاً.»

تجهمت عند سماعها كلماته تلك، وخامرها شعور بانه كان يمرر إليها رسالة بالرموز، لم تعرف كيف تحلها. استوت في جلستها وقالت: «لِمَ اعطيته ازهاري؟ وماذا قلت له؟»

اجابها: «قلت له ان يأخذها ويحفظها. قد ترغبين بالاحتفاظ بها في غرفة النوم كذكرى لهذا اليوم.»

اجابته ببرودة: «وهل يحتمل ان ينساه أي منا؟ اعرف اني لست بحاجة لما يذكرني به.»

حادلها بيرس بعقلانية قائلاً: «مهما يكن فانه سيتم حفظها، من يدري؟ قد تبدلين رأيك.» ثم امسك بيدها اليسرى واخذ يتأمل تأثير الذهب على يدها النحيلة، واضاف: «ان خاتمي يناسبك. ماذا فعلت بالخاتم الأول؟»

اهتزت اعصابها لسببين، اولهما تذكيرها بالزواج السابق، وثانيهما لوخز التنبه الذي ارسلته لمسته الرقيقة عبر ذراعها، تنهدت محاولة ان تحرر يدها لكنه منعها من ذلك.

سألها: «هل ان لمستي تجعلك تثورين، يا أليكس؟»

اجابته: «كل شيء يخصك يجعلني اثور. اما بالنسبة إلى الخواتم التي قدمتها لي، كنت على وشك رميها في نهر سين، لكن بدا لي ذلك هدر لمبلغ كبير من المال. لذا رميتها إلى أول مؤسسة احسان مررت بها.»

اجابها بسخرية: «يسرني ان اعرف مصيرها.»

www.liilas.com

غضبت أليكس وقالت: «المال هو كل ما تصلح له!»

ضحك واجابها: «حقاً؟ سأتذكر بهذا الليلة.»

اتقدت وجنتاها احمراراً عندما ادركت انها ستواجه ذلك قريباً. كانت تحاول تحاشي التفكير في ذلك الأمر، متصورة ذلك بحذر. حذر سببه معرفتها انه مهما كان قرار عقلها، فانها كانت تحبه في قرارة نفسها. وكانت كل ساعة تمر تجعل ابقاء القتال مستمراً اصعب. فقالت: «انك لمغرور... هلا تركت يدي من فضلك؟»

نظر اليها بيرس نظرة متفحصة وقال لها: «وما هو الخطأ بأن يمسك زوج بيد زوجته؟ خاصة وانهما قد تزوجا للتو.»

ردت عليه بازدراء قائلة: «لا تكن مراوغاً، ليس هناك حاجة لنا الآن للتصرف بطريقة مشرفة، يا بيرس، فلا يوجد من يرانا حتى نبرهن له اخلاقنا مغايراً للحقيقة.»

«وماذا ان اخبرتك انني لا احاول التصرف بطريقة مشرفة؟»

رمقته بنظرة محافظة، وقالت: «لا اصدقك.»

تنهد بيرس بعمق ووضع ساقاً فوق الأخرى إلا انه بقي ممسكاً بيدها بقوة وقال لها برقة: «مهما تكن الظروف التي سيؤول اليها زواجنا، فانني انوي ان ابذل قصارى جهدي لانجاحه يا أليكس. ويمكنك ان تفعلي الشيء نفسه.»

يبدو صادقاً جداً، لكنها عرفت من التجربة السابقة اي ممثل بارع هو. فاجابته: «لا حاجة لأن تتكبد كل هذا الازعاج من اجلي.» وسحبت يدها بقوة من يده.

«آوه، ليس هناك من ازعاج، يا حبيبتي، فإن ذلك هو ما اردته دائماً.»

كان جوابه مفاجأة تامة لها فحدقت به بدهشة، وقالت ببطء: «تجعل الأمر يبدو وكأنك اردت هذا الزواج فعلاً.» الا انها لم تتلق جواباً منه، سوى رفعة من حاجبه.

استدارت بعيداً بعد ان عجزت عن تفسير تلك النظرة واخذت تحدق إلى الخارج عبر النافذة، وهي متجهمة تماماً.

استدارت نحوه من جديد، وقالت: «لماذا تزوجتني يا بيرس؟ كان بامكانك ان تساعد والدي دون القيام بذلك. لو انك اردت امبراطورية عائلة بتراكوس، كان بامكانك ان تشتريها حسب طريقتك. لماذا اردت ان ترتبط بي ثانية؟»

نظر اليها بيرس للحظة، ثم استدار لينظر إلى الخارج عبر النافذة، وقال لها برقة: «حاولي استيعابي، لكنك لست مستعدة لسماعها بعد.» دقت كلماته تلك على وتر مألوف جداً جعل غضبها النائم يستيقظ.

أجابته بصوت اظهر دون وعي منها مزيجاً من الغضب والألم: «آه. اجل، لقد نسيت، انت تحب ان تختار لحظتك. اليس كذلك؟ وكي اتذكر، تترك مفاجآتك للصباح الباكر. هل علي ان اجهز سلاحي للغد؟»

استدار عند سماعه كلماتها تلك، وعيناه تظهران ندماً صريحاً لم يحاول حتى اخفائه. قال لها برقة: «استرخي، يا أليكس. لن يكون هناك مفاجآت هذه المرة. سوف تعرفين الوقت المناسب مثلي تماماً.»

سألته: «لِمَ علي ان اثق بك؟»

www.liilas.com

ضاقت ابتسامته فيما اجابها: «هذا امر لا استطيع ان اجبرك على القيام به. فاما ان تفعلي او لا.»

عضت على شفتها وشعرت لسبب لم يكن في الحسبان بالانزعاج. قالت له: «انني لا افهمك.»

اجابها بلهجة غامضة: «لم تفعلي ذلك قط.»

شعرت انها تكاد تختنق... استدارت وركزت اهتمامها على العالم الخارجي، مبعدة نفسها قدر ما تستطيع عن الرجل الذي إلى جانبها.

كانت الجزيرة ممتدة امامها وقد بدت وكانها تطفو بكسل فوق البحر الأزرق المتلألىء. كانت أليكس تنظر إليها منذ ان بدت كنقطة صغيرة في الأفق. اما بيرس فقد تعهد الغموض، فقال انهما سينزلان في الفيلا التي يملكها على جزيرة يونانية عندما لاحظت في وقت مبكر من النهار انهما فوق الهند. وهناك انتقلا من طائرته إلى طائرة مروحية حملتهما بقية الطريق.

اخفضت نظرها لتنظر إلى المكان الأخير الذي يقصد. بدا رومنطقياً، ولكثر اخضراراً مما توقعته. لكانت في اي وقت غير هذا تطلعت بشوق لتمضية فترة من الزمن هناك، إلا ان قلبها غار الآن في صدرها لفكرة انها ستبقى معه في هكذا عزلة رائعة. لذا، ورغم انها تكره ذلك بشكل عام، الا انها كانت لتعطي اي شيء مقابل ان تتجه إلى اي منتجع مزدحم خارج هذا المكان.

شعرت بعيني بيرس تحدقان بها، فنظرت حولها محاولة ان لا تتاثر عند رؤيته. لقد نزع في وقت مبكر سترته وربطة عنقه. بدا مسترخياً قدر ما يستطيع. في هذه الحال، ونتيجة

لذلك، اهتزت احاسيسها. كان من المستحيل ان تتجاهل وجوده، وكانت تجد التظاهر بعدم الاكتراث يزداد صعوبة. الأمر الذي كانت متاكدة انه هو ايضاً مدرك له.

ابعدت عينيها عنه، وسالته: «هل هذه هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى الجزيرة؟»

اجابها بتهكم: «لا، لكنها الاسرع. لماذا؟ هل بدأت تبحثين عن طريق للهرب؟»

سالته بجهد: «وهل احتاج إلى واحدة؟» وشعرت أكثر مما رأت انه هز كتفيه بلا مبالاة.

اجابها: «من يدري ماذا يجول في خاطرك؟ لكن هناك الكثير منها، فالذين يعيشون على الجزيرة لديهم مراكب صيد، وان أيا منهم قد يتطلع إلى البر الرئيسي ان طلبت منه ذلك. هذا ليس سجناً، يا أليكس.» انهى كلامه برقة، وشعرت من جديد بتلك الموجة من الارتباك تعلو من حولها.

تنكرت ان العهود التي قطعتها على نفسها اليوم كانت سجناً بحد ذاتها. لم يكن قلقاً بالطبع، على انها قد تحاول الهرب من الجزيرة، لأنه كان يعرف ان حسها الاخلاقي هو الذي سيبقيها إلى جانبه. لقد اشتراها، ألم يفعل؟

كانت تشعر انها بخير إلى ان رأت الجزيرة، لماذا رؤيتها جعلتها تشعر فجأة، بانها تريد اشياء كانت تعرف انه لا يمكنها ان تتوقع الحصول عليها؟ وما الذي كانت تريده على اية حال؟ لم تكن تعرف ذلك ايضاً. لم تشعر من قبل قط انها تائهة هكذا و... خائفة هكذا.

قالت لنفسها ان لا يجب أن تكون مغفلة حالمة، ومن الأفضل بكثير ان تركز على وصولهما. جالت الطائرة

www.liilas.com

المروحية فوق الجزيرة، مما اتاح لها رؤية المنظر المذهل للمرفأ المزدحم، قبل ان تتجه إلى القمة الجنوبية، حيث كان بناء ابيض وسقف من القرميد يستدفيء باشعة شمس الغروب. حطت الطائرة في بقعة مكشوفة من الأرض وراء المنزل، وفيما كان بيرس يساعدها على النزول، ظهر رجلان من خلال الاشجار التي تحيط بالمكان. ومن خلال ابتساماتهما الواسعة وترحيبهما الحار كان واضحاً انهما كانا يعرفان انه قادم الى هنا مع عروسه.

وقفت أليكس بعيداً، وقد شعرت وكأنها دخيلة، لقد قطع جدها كل ما يربطه ببلده منذ سنين عديدة، وهكذا لم يكن امراً غريباً ان اولاده أو أحفاده لا يتكلمون اليونانية. خطر لها أن عليها ان تتعلم اللغة اليونانية بسرعة إن كان عليها تمضية اية فترة زمنية هنا. وعندما قدمهما بيرس لها باسم كوستاس وسبيرو اللذان يمتلكان المزرعة، ردت على تمنياتهما الطيبة بابتسامة دافئة.

امسك بيرس بذراعها وقادها نحو المنزل فيما اهتم الرجلان بامتعتهما. ثم سألها: «هل ترغبين بمشاهدة المنزل الآن، أو تريدين الاستراحة اولاً؟»

شعرت أليكس وكأنها ستصرخ ان لم تنزع ثيابها عنها حالاً من شدة الحر، لذا اجابته بابتسامة مريرة وساخرة في آن معاً: «فيما بعد. اريد ان اغتسل وارتدي ملابس خفيفة.»

تأملها ثم قال لها موافقاً بصوت اجش: «تبدين متعبة قليلاً. غرفة النوم الرئيسية من هنا.»

كانت الغرفة التي قادها اليها كبيرة ومزينة بظلال خوخية اللون. وكانتا غرفة الملابس وغرفة الحمام على

جانب واحد. فيما كان باب زجاجي متحرك يظهر منظراً نحو البحر يخلب الانفاس.

استطاع بيرس بسهولة ان يتتبع نظراتها، لذا قال لها: «لم لا تسترخين قليلاً، يا أليكس؟ لقد كان يوماً مرهقاً. استحمي هنا، فانا سأستعمل غرفة الحمام التي في الخارج هذه المرة... اننا لسنا على عجلة، ولن نأكل حتى وقت متأخر.»

لم يكن العشاء هو ما يقلقها فيما كانت تنظر إليه وهو يدخل إلى إحدى غرف الملابس، ويخرج بعد لحظات فقط حاملاً ثياباً لتبديل ملابسه. كانت تلك مناورة رقيقة اوضح من خلالها ان هذه هي غرفته، ايضاً، لكنه مستعد لأن يفسح لها المجال فيها. في الوقت الحاضر. اما فيما بعد فانه أمر آخر، على اية حال.

ومع مغادرته، حملت أليكس نفساً عميقاً ثم خلعت حذاءها متجهة إلى غرفة الحمام. لفت نظرها حوض الاستحمام، وعلى الفور استبدلت فكرة اخذ دوش بان تستلقي في المياه الدافئة لتحظى بقسط من الانتعاش.

لم يمض وقت طويل حتى فارقها التوتر واسترخت وقد اتكأت إلى الحافة واغمضت عينيها. ومن ثم راودتها الافكار، افكار مزعجة لم يعد بالامكان تجاهلها. كان هناك الكثير لتفكر به في وقت سابق، لكن هنا، أصبح التفكير لا مفر منه. ضاقت شقتيها بمرارة. ذات يوم مرّ عليها وقت راغبة فقط بان تكون مع بيرس، لكن الآن الأمر مختلف، فهذه المرة كانت مدينة له. لقد اشترى الحق في ان يبقى معها.

www.liilas.com

وانطلقت آهة من حنجرتها المخنوقة، كم تكره التفكير في ذلك، أن تهبط لدرجة ان تصبح مجرد تسديد لدين! ذلك يقلل من قيمتها ومن قيمة كل ما كانت تشعر به. وجعلت تلك الفكرة قلبها يتوقف عن الخفقان لثوان قاتلة قبل ان يبدأ خفقانه من جديد بترنح. ماذا يعني وجودها وشعورها؟ لم تكن تشعر بشيء! لا شيء سوى الكره تجاه الرجل الذي استغلها وخدعها بقساوة، ورفعت يدها لتغطي عينيها.

طفى الصدق على شعورها، وما ان وصل إليه حتى تعلق به بقوة مرغماً اياها على الاعتراف اخيراً بالحقيقة لنفسها، فالسبب الذي جعلها تكره لهذه الدرجة ان تكون مجرد تسديد لدين، هو لأنها ارادت ان يكون الزواج حقيقياً، وكانت فوق كل ذلك، تريد حب بيرس. لأنها تحبه. مما قد جعلها من اسوأ نوع من الحمقى على قيد الحياة!

شعرت بالاختناق من شدة يأسها حتى فيما كان عندها دافع قوي للضحك. انها كما باندورا، فتحت صندوقها ولم يعد بامكانها ان تفعل شيئاً سوى ان تواجه ما نتج عن ذلك، فاعترفت اخيراً بالدور الأخير من خداع النفس. فقد كانت، حتى في الأيام الخمسة الأولى المؤلمة من الخسارة قبل خمس سنوات، تتمنى بجنون أن يأتي بيرس يوماً ويعترف لها ان كل ذلك كان مجرد غلطة، وانه يحبها رغم كل شيء!

كل هذا لأنها احبته. وكانت تحبه في ما مضى. لأنها تحبه... وستظل تحبه دائماً.

لكن لا يمكن أن تكون ما زالت تحبه! ليس بعد كل ما فعله... وما زال يفعله. لقد استغلها، وما زال يستغلها. كيف بامكانها ان تبقى على حب رجل يمكنه فعل ذلك؟

لم تكن تعرف. الأمر الوحيد الذي كانت تعرفه انها تحبه بشكل لا يمكن نسيانه. وان عرف ذلك يوماً، فإنه لن يتوانى عن القيام بأي شيء، فالقوة التي ستعطيها له ستكون مطلقة. لا يمكنها ان تعطيه هذا النصر، وعليها الآن اكثر من اي وقت مضى ان تستمر في صراعها معه، لأنها الطريقة الوحيدة للتغلب على نفسها. لذا يجب ان لا يكتشف بيرس اطلاقاً القوة على اساس ضعفها. قد تكون ملزمة تجاهه وقد تضطر للقيام بكل ما يريده، لكنه لن يسيطر اطلاقاً على قلبها كما فعل، بل عليها أن تأخذ سرها معها إلى القبر.

«ما بك يا أليكس. أين أنت؟» ردد صوت رجولي اجش من وراء الباب، وعلى الفور فتحت عينيها، وقد شعرت انها في وضع غير مؤات لأي الكلام، وقالت تذكره بحدة: «قلت لك ستستعمل غرفة الحمام الأخرى.»

رفع احد حاجبيه وقال: «فعلت منذ ساعة تقريباً. خطر لي انك قد تحاولين تجنب رؤيتي لذا اتيت باحثاً عنك.»

تنهدت أليكس بغيظ وقالت له: «حسناً، لقد وجدتني. والآن اود ان احظى بقليل من العزلة.»

ضاقت عيناه الزرقاوان للهجة التي تكلمت بها وقال لها: «لا تأمريني يا أليكس. اني زوجك ولست خادماً، ولي كل الحق بأن اكون هنا.»

كان بامكانها انقاذ الموقف ببساطة وبضع كلمات، لكن ذلك لم يكن في متناول يدها، لأنها لم تكن قد استقرت نفسياً بعد، مما جعل كلماته تلك تشعرها بتهديد اكبر مما جعل غريزتها تشهر دفاعاتها.

فخرجت من الحمام بعنف، بعد أن جففت نفسها وارتدت

www.liilas.com

ثيابها، ثم قالت: «آه، حقوقك. فهمت الآن، حان وقت التسديد. أليس كذلك؟»

كانت مأخوذة جداً بحماية نفسها لدرجة انه فاتها ان تلاحظ الغضب الذي ظهر على وجه زوجها، بدا وكأنه على وشك الانفجار، وعندما توقفت عن الكلام كان قد ابتعد قليلاً، وصاح قائلاً: «يكفي! كيف تجرؤين على التكلم عن نفسك بهذا الابتذال؟»

شعرت أليكس بالجبن قليلاً، لكن لم يكن هناك مجال للتراجع فقالت: «الا يسمونه كذلك عندما يشتري رجلاً امرأة؟ لقد اشتريتني، وانا مستعدة تماماً الآن لتسديد الدين. انا امرأتك لتأمرني، الست كذلك؟»

كانت تريد أن تخرجه عن سيطرته الباردة، وقد نجحت، لكن بطريقة لم تكن تتوقعها قط. وعينين واسعتين، رأت الغضب الجامح يشتعل بداخله، وتنهيدة عميقة خلى صدره.

صرخ قائلاً: «لقد تمادیت كثيراً هذه المرة، يا أليكس. ان كنت تريدين التسديد، يمكنك ذلك.»

وقبل ان تتمكن من ان تنبس بكلمة كان بيرس قد امسكها بقوة. تأوهت أليكس. لكن الأوان كان قد فات الآن لتتمنى لو انها لم تدفعه لهذا الحد. كان كل ما ارادت القيام به هو حماية نفسها، لتبرهن له انها غير مهتمة، لكنها ايقظت النمر النائم، وها هي الآن لا تجرؤ على الافلات منه لم يكن فيه شيء من بيرس الذي عرفته في ملاطفاته، من الرجل الذي يقمع مقاومتها انهمرت الدموع من عينيها، لأنها قادته إلى هذا، ولم يكن امامها الا ان تلوم نفسها لما يتمخض عن ذلك من نتائج. وشعرت بالازدراء تجاه نفسها.

كانت تعرف انه ان لم يتوقف من تلقاء نفسه لن تقوى على الهروب في غمرة غضبه. لكن حتى عندما مرت ببالها تلك الفكرة المدمرة، اطلق بيرس صيحة مخنوقة وأبعد نفسه عنها. وتلك الحركة نفسها جعلته ينهض على قدميه، حيث وقف للحظة مؤلمة يحدق بها وهو يتنفس بسرعة. بدا وكأنه يقاتل الشر داخل نفسه، ثم ودون ان ينبس بأية كلمة استدار على عقبيه وترك الغرفة، صافقاً الباب وراءه.

بقيت أليكس جامدة في مكانها دون حراك، فيما انطلقت منها تنهيدة وتبعتها اخرى، رفعت يديها إلى عينيها، واستدارت لتدفن رأسها في الوسادات. بكت حتى شعرت بالجفاف... والخجل. ما حدث كان غلطتها. لقد انفعلت كثيراً، ما الذي حل بتكلفها البارد؟ لقد تخلى عن اكبها انها لن يمكنها اطلاقاً الا تبغي بيرس كانت خائفة جداً من ان تطلبه القوة الآن بوقتها ثانية، وعوضاً عن ذلك، جعلته يؤذيها بطريقة اخرى.

نهضت بارهاق لتقف على قدميها، وهرعت نحو الحمام.

ولم تكتشف عندما عادت إلى غرفة النوم ان صينية عليها ابريق من الشاي قد ظهرت بشكل مفاجيء، وانما وجدت ان حقائبها قد أفرغت ايضاً. لم يكن امراً مريحاً ان تتصور ما قد فكر به ذلك الشخص الغير معروف عما حدث. تفكيرها ذاك جعل وجنتيها تتقدان احمراراً، وشعرت انها بحاجة ماسة لفنجان الشاي الذي سكبته لنفسها.

لقد هدأت الآن. وجدت انها اصبحت قادرة على التفكير. كانت حمقاء، وادركت الآن ان عليها ان تحاول ان تنقذ شيئاً من هذا الخراب والا فان زواجها سيتحطم. تسبب كبرياؤها

www.liilas.com

بأسوأ سقطة على الاطلاق، وكان عليها ان تعتذر. اين اصبحا من ذلك؟ من يستطيع ان يقول..؟

كان الظلام قد بدأ يخيم الآن، وعرفت أليكس ان لا فائدة من النظر المتكرر إلى ساعتها، فانها ستخبرها فقط ان عشر دقائق اخرى قد مرت، اضافة إلى الساعات التي مرت منذ أن تركها بيرس.

كانت تجلس على الشرفة، حيث احضرت لها كاتينا، زوجة سبيرو، القهوة قبل ساعة. لم يتساءل أحد عن العريس المتغيب، ولا عن العروس التي تناولت العشاء بمفردها. كان الصمت بليغاً بالنسبة لأليكس، مما جعلها تتمنى لو انها لم ترتدي ملابسها بهذه العناية، ولم تضع مكياجها لتخفي ما خلفته دموعها. كل ذلك لأجل رجل لم يظهر.

لاكت شفتها. كان الغضب قد فارقها منذ وقت طويل ليحل محله القلق. اين هو؟ ماذا يفعل؟ هل أذى نفسه؟ هل هو مستلق في مكان ما، وقد تأذى جسدياً، يتضرع طلباً لمساعدة؟ لم تكن هناك فائدة من اقناع نفسها بان لا تكون سخيفة، انه يعرف الجزيرة جيداً. كانت كل لحظة تمر يشتد فيها الظلام اكثر ويزداد قلقها.

حتى عندما عارضت نفسها، بدا فجأة ان شعر جسدها انتشر، ودار رأسها، فقد كان بيرس واقفاً في العتمة ينظر اليها. دخل عليها دون ان تشعر، لكن هذه المرة كان الشعور الطاغي الذي خامرها هو الارتياح لأنها عرفت لو ان شيئاً ما حدث له ما كانت لتغفر لنفسها ابداً. تحرك حتى اصبح في نطاق النور المضاء مما اتاح لها ان ترى بشكل ممتاز منظر

وجهه المتجهم. كانت عيناه غائمتين. ولا توحيان بأي شيء. وجدت أليكس نفسها تحبس انفاسها وقد عرفت ان عليها ان تتكلم قبل ان تخونها شجاعتها.

قالت بارتباك: «بيرس، انا...»

«لا» حدة تلك الكلمة جعلتها تتوقف عن الكلام. ثم اوضح باختصار قائلاً: «لا يا زوجتي الجميلة، لقد قلت ما لديك في وقت سابق والآن جاء دوري.» وتوقف قليلاً ثم قال: «لم أحضر لاعتذر عما حدث. يا أليكس، فانا اعرف انك ستستمرين في كرهي، أليس كذلك؟ لسوء الحظ، انني لن اجاريك بلغتك، لن يتم الأمر على ذلك النحو. فخططي يا أليكس هو ان تأتي أنت إلي. اني اريدك، لكنني رجل صبور، سأنتظر حتى تأتي انت الي، وستأتين، لأنك امرأة عاطفية، عندما يحين الوقت، ستطلبين مني ذلك، لأن ما حصل اليوم لن يتكرر.» وانحنى في تلك اللحظة نحوها، مما جعل نظراته الحادقة قريبة بشكل خطير واضاف: «ثق المسك حتى تتوسلين الي لأفعل ذلك، هل فهمت؟»

شعرت أليكس ان حنجرتها تكاد تطبق على بعضها، وخالجتها رعشة سرت في جسدها، ولم يساعدها بشيء ان تعرف انها هي من جلبت لنفسها ذلك. وذهبت كل افكار الاعتذار مع الريح. رفعت ذقنها قليلاً فيما هي تتحضر لتقوم بمعركة، وقالت: «ستنتظر طويلاً.»

ضحك ضحكة جنونية واجابها: «انني مستعد لذلك، لكنني لا ارى الأمر سيطول كما تتخيلين.» وبعد نظرة اخرى شاملة كلياً سار مبتعداً عنها إلى داخل الفيلا.

حبست أليكس انفاسها فيما دقت تلك العبارة الأخيرة

www.liilas.com

على الوتر الحساس لديها. كيف تجرأ على التفكير في انها ستأتي ساعية وراءه؟ انه ليس بالشخص الذي لا يقاوم كما تصور! لكن الم يكن كذلك؟ سألها صوت صغير في داخلها مما جعلها تجفل. حسناً، وربما كان كذلك لكنها استطاعت ان تحيا بدونه طيلة هذه السنين، وبامكانها ان تستمر بالطريقة نفسها. لأنها متأكدة من شيء واحد، هو أنها لن تتوسل إليه ابداً. ابداً. لن يكون هناك هدنة بينهما بعد الآن، انما معركة لن تستطيع تحمل خسارتها.

الفصل الثامن

أصغت أليكس إلى صوت اندفاع الماء من الرشاش في غرفة الحمام بقلب حزين. ادارت رأسها مما اتاح لها رؤية تغضن الوسادة الثانية، حيث استراح رأس بهرس الليلة الماضية. لقد اثار امر مشاركته الغرفة معها اول مشادة كلامية بينهما، ولقد خسرتها.

فعندما دخلت إلى غرفة النوم الليلة السابقة، كان بهرس قد ولج إلى الفراش، وتوقفت فجأة عندما رأته مستنداً الى اللوحة الرأسية من السرير، وكان يقرأ. لكنه رفع نظره عند دخولها.

قال بعودة: «اطمئني ان كان الضوء يزعجك.» وكأنما امر مشاركتهما السرير كان عادة يومية، وثار غضب أليكس. فصرخت قائلة: «بما انني لا أنوي ان أشاركك الكثير كان اشاركك الغرفة، ناهيك عن السرير، فليس للأمر اهمية.»

اجابها برقة: «على العكس يا حبيبتي، لن تنامي في اي مكان آخر.» وارفق ذلك بنظرة حادة من عينيه.

عندئذ لفت ذراعيها فوق بعضهما البعض في وقفة محارب، ما من شيء على وجه الأرض يجعلها توافق على ذلك. فقالت: «لا يمكنك ان تمنعني ان استدرت ببساطة وخرجت من هنا.»

لمعت اسنانه عندما ابتسم ابتسامة عريضة، وأجابها:

www.liilas.com

«صحيح، لكن ذلك يجعلني مضطراً للنهوض واعادتك، امر أنا مستعد للقيام به، مهما يكن عدد المرات التي يتطلبها ذلك، هذه هي الغرفة وهنا ستنامين.»

حدقت أليكس به بغضب جامح، مدركة انه يعني ما يقوله، سيحملها وهي تصرخ وتركل ان اضطر لذلك.

ثم قال لها بلهجة ساخرة: «ما الأمر يا أليكس؟ هل أنت خائفة مني؟» وعلى الفور أكلت الطعم وقد عرف انها ستفعل.

لم تقل اية كلمة، بل اكتفت بأن أخذت ملابس نومها وذهبت لتبدل ملابسها في غرفة الحمام. وكانت الاهانة القصوى عندما عادت إلى الغرفة حين وجدته وقد اطفأ النور وادار لها ظهره. لو يعلم للحظة انها ستفعل ما طلب منها! كان من المستحيل ان تستطيع النوم، بالطبع خاصة وان انفاس بيرس المتناغمة تتناهى إلى مسمعها، لتطلعها انه لا يعاني من تلك المشكلة. تقلبت في السرير لساعات، ولم تغف الا عند بزوغ الفجر.

والآن اخذت تحدق بوسادته، وشيء ما اقوى من ارادتها جعلها تتقلب، لتضع رأسها في المكان المجوف منها، وتتنشق رائحته التي خلفها هناك.

جلست في السرير واطلقت تنهيدة ازدراء للنفس لتصرفها العاطفي جداً، لديها كبرياؤها، اليس كذلك؟ لكن ذلك كان تهدئة باردة اذ انها قد عرفت منذ وقت طويل، ان الكبرياء لا يساعد الانسان خلال ساعات الليل الطويلة.

سمعت رشاش الماء يتوقف، فتشنجت على الفور، ولأنها لم تكن تتمنى في ان تدرك وهي ما تزال في السرير، مدت

أليكس يدها إلى روبها الحريري الذي كان ملقى على المتكأ عند اسفل السرير، وتجمدت، لأنها وجدت عليه برعم ورد زهري رائع اللون، وانتفض قلبها ثم أخذ يخفق بجنون عندما التقطت ذلك البرعم بتردد، كانت رائحته ذكية جداً، وباعث لكل انواع الأفكار المتهورة في عقلها، من اين اتى... ولماذا وضع هنا، على روبها؟

«وردة لوردة.»

صوت بيرس غير المتوقع جعل أليكس تقفز بقوة، فوخزت ابهامها بشوكة، جفلت عندما تشنج رأسها، فقد روعها جداً دخوله الصامت، كما النبرة القوية الصادقة في صوته... وفيما كانت تشك بما سمعته، اقترب نحوها، وقبل ان تتمكن من ايقافه، امسك بيدها متفحصاً.

قال بصوت اجش: «كان من المفترض ان تسعدك لا ان تؤذيك.» ثم رفع يدها إلى شفتيه ولثمها.

سبحت احاسيس أليكس بانشداه للحظة أو اثنتين، مأخوذة بنبرة صوته المهتمة الرقيقة. لم يكن هذا الرجل الذي عرفته اخيراً، لقد كان وكأنه الحبيب الذي عرفته في البداية، قبل خمس سنوات. وتذكرت أنه منذ ذلك الحين، لا يفعل شيئاً دون مقابل، ونور ذلك عقلها بشكل رائع، وازدادت حدة شكها، ما الذي يهدف اليه الآن؟

واستطاعت بعد ان اخذت نفساً عميقاً ان تسحب يدها بحيياً عن تلك اللمسة المغذية، وسألته بتهكم: «ورود، يا بيرس؟ ماذا فعلت لاستحق هذا... التذكار؟ هل هو عبارة عن تقديرك؟» وحاولت ان تضمن تلك الكلمات كمية كبيرة من الاحتقار، وهي تدرك تماماً ان ذلك لمساعدتها كما له،

www.liilas.com

تذكير انها يجب ألا تسقط في المصيدة نفسها كما من قبل.

لكن زوجها لم يبتلع الطعم، وقال: «لا شيء، ربما اني قررت ان اضع قلبي عند قدميك لتدوسي عليه هذه المرة.»

افترت شفتيها عن تنهيدة صامتة، ايعقل انه يهتم لأمرها، ايعقل ذلك؟ واتاها الرد بعنف: لا، ليس بيرس مارتينو، انه يلاعبها فقط من جديد، يحاول ايجاد طريقة للوصول اليها، وانها تعرف سبباً واحداً لكل ذلك... لكي يقلل من شأن عزمها على مقاومته. بدا التجهم على وجهها فيما عبرت الغرفة بسرعة نحو سلة المهملات، ورمت الزهرة فيها، ودون اية وخزة ندم للضرر الذي الحقته ببرعم جميل بهذا الشكل، اذ اينما تواجدا هي وبيرس معاً، كان يتحطم شيء جميل.

رفعت ذقنها في تعال نحوه وقالت: «لتفعل ذلك يجب اولاً ان يكون لديك قلب.»

سألها بيرس، معتقداً ان ليس عندي قلب، فيما كان يتجه نحو باب الفناء، واسند ظهره على إطاره مما جعل اشعة الشمس تبرز حركة عضلاته تحت بشرته.

انجذبت أليكس لذلك المنظر وكأنه مغناطيس، كان من المفترض أن يسرها ذلك، لكنه لم يفعل، واجابته: «أعرف انه ليس لديك. فلدي ذاكرة جيدة.» كان هناك صباح آخر، الصباح الوحيد الذي رأته فيه على هذا النحو، يوم اهانها باخبارها عن سبب زواجه منها. وضاقت عينا بيرس وهو ينظر اليها، قبل ان يتوتر هو ايضاً.

وعندما قائلاً بنفس لهجة صوته الأجش: «لن يحدث شيء من ذلك هذه المرة، يا أليكس.» وخانتها اعصابها برد فعل عنيفة.

فقالت متظاهرة بالشجاعة، الأمر الذي لم يلحظه أحد سواها. لأنها كانت عرضة للسقوط، وبشكل فظيع أيضاً: «لن أدع ذلك يحدث، لن اكون مجنونة اطلاقاً لدرجة ان اجعل من نفسي عرضة للسقوط بيدك من جديد، يا بيرس.»

تأملها بيرس ببرودة، ثم قال: «علينا ان نتكلم عن الماضي في وقت ما.»

عرض جعلها تهز رأسها، وقالت: «ليس هناك شيء لقال، كنت موجودة هناك، واني اعرف كل ما اننا بحاجة لأعرفه.»

وى فمه بابتسامة ساخرة وقال: «ولربما رأيت ما أردت ان اريك إياه. هل فكرت يوماً يا أليكس؟» ودفع نفسه تقيم في وقفته ثم سار خطوة او خطوتين نحوها، مما جعلها تتنفس بحدة.

جابته أليكس بألم: «عندما يوجه احدهم اليك ضربة ساحقة، لا تنتظر لترى ان كان قد طعنك أيضاً. أما النتيجة واحدة، لقد اقترفت جريمة قتل، وان كنت فجأة قد بدأت تبحث عن الغفران يا بيرس، اذهب الى المكان المناسب، ولا تأتي الي!»

عرفت انها قد سجلت ضربة عندما غام وجهه وقال: «الغفران؟ ربما هذا ما اريده، لكن ليس منك، لقد اكتشفت انه من الأسهل ان يسامح الانسان الآخرين من ان يسامح نفسه.»

ضحكت أليكس، انما بجهد مؤلم من خلال حنجرة منقبضة وسألته: «ايمكن حقاً ان يكون هذا ندم من بيرس مارتينو العظيم؟ هل تحاول ان تقنعني بانك نادم على ما حدث؟»

www.fifas.com

ارتعشت عضلة ذقنه قليلاً، ثم سألها: «هل ذلك ممنوع؟»

حدقت في العينين اللتين بدتا فجأة غائمتين بشيء لم تستطع فهمه، ربما كان حزناً، وربما كان طلباً للصفح. لكن واقعية تذكرها اي ممثل بارع هو، جعلها تقول: «سأخبرك ما هو ذاك، انه امر لا يصدق! انك قاس ومتآمر كما كنت دائماً، يا بيرس، ولن تستطيع ان تجعلني اعتقد غير ذلك.»

استعادت عيناه صفاءهما، وامتلأتا من جديد بمزيج من الغضب والسخرية، مؤكداً فكرتها ان ما رأته لم يكن صحيحاً، وتحداها قائلاً: «ان كان الأمر كذلك، لماذا امضيت الليل ملتقة بين ذراعي؟» الأمر الذي سلبها انفاسها.

صرخت قائلة: «لم أفعل ذلك قط! لقد كنت على جهتي من السرير عندما استيقظت.»

رفع احد حاجبيه عالياً وقال: «ذاك فقط لأني وضعتك هناك. لأنك سمحت لي بذلك اخيراً، اذ عندما حاولت ان افعل الشيء نفسه في ساعات الليل الاولى، رفضت ان تتركيني. لقد كنت رقيقة كهرة صغيرة انما متشبثة بي كما العلقة. ورغم اني شعرت برغبة لايقاظك وسؤالك عن سر انقلاب الأمور رأساً على عقب، إلا اني فكرت انك قد تفضلين ان تستيقظي على راحتك.»

اتقدت وجنتاها احمراراً، وصاحت قائلة: «انك تكذب!»

«ليس بما يتعلق بهذا الأمر، يبدو ان حسك اللاواعي يعرف اين ترغبين في ان تكوني؟ انه كبرياؤك العنيد الذي يمنعك من الاعتراف بذلك علانية.»

تألمت بينها وبين نفسها حيث أجبرت على قبول

الحقيقة، وسألته: «لكي تتمكن من تأمل انتصارك برضى وحبور؟»

اطلق بيرس تنهيدة معاناة طويلة، وقال: «أذكر بانني اخبرتك ان هذه المرة ستكون مختلفة، ليس عندك الكثير من الثقة بي، يا حبيبتي.»

«لقد شفيتني من سذاجتي منذ فترة طويلة، اتعجب لأن تلقني بكلامك قد تبعثرت ايضاً؟ كما في قصة هامبتي دامبتي، هناك اشياء لا يمكنك اطلاقاً اعادة جمعها ثانية.»

خرجت تلك الكلمات من بين شفتيها بما حوتها من مرارة كبيرة، ربما انها ما زالت تحبه، لكنها تشك في انها قد تثق به من جديد بشكل مطلق يوماً.

بقي بيرس هادئاً تماماً للحظة فيما كانا يحدقان بعضهما البعض، ثم مد يده ليمرر احد اصابعه على وجنتها، وتمتم قائلاً بغموض: «اننا نحصد ما نزرعه فقط.» ثم رفع كتفيه بلامبالاة واتجه نحو غرفة ملابسه مضيفاً: «ارتدي ملابسك، يا أليكس، سنبحر في نزهة على متن اليخت بعد الفطور.»

اربكتها لهجته الآمرة كثيراً لدرجة انها ردت عليه بشكل صبياني قائلة: «ربما أنا لا اريد الذهاب بنزهة على متن اليخت!»

استدار نحوها فيما كان على وشك الخروج من الباب وهو يبتسم ابتسامة ساخرة، ثم قال: «قلت لي ذات مرة انك تحبين الابحار، هل تنوين قطع انفك لتغيظي وجهك؟»

وضعها في موقف حرج، لكن فكرة ان تتشبث بموقفها، وتضيع على نفسها فرصة الابحار فوق المياه الصافية المتلألئة، كانت مؤلمة جداً، فقالت على مضض: «لا.»

www.liilas.com

وضاقت ابتسامته ليحذرها قائلاً فيما هو يخنقني: «إذاً، ارتدي شيئاً ليحميك فقد تكون الشمس حادة جداً هنا، ولا اريدك ان تمرضي في اليوم الأول من شهر عسلنا.»

وتركها مع شعور مزعج بأنها قد هزمت باكثر من طريقة واحدة. لقد بدل بيرس معاملته لها بين ليلة وضحاها، وعليها ان تبقى محترسة جداً، لكن حتى ذلك لم يستطع ان يخفف حماسها للنزهة البحرية التي عرضت عليها، لذا ذهبت على غير عادتها بقلب فرح لتستحم وترتدي ملابسها.

كان يوماً لا يمكن ان ينسى ابداً، حيث كان بيرس يرتدي سروالاً من الجينز، ويدير دفة اليخت نحو عرض البحر، اما أليكس فقد كانت ترتدي سروالاً قطنياً وبلوزة واسعة قطنية لونها أزرق ضارب إلى اللون الأرجواني، لون بحري جميل. كان من المستحيل ان تبحر بمركب وتبقى في مزاج سيء، لذا لم يمض وقت طويل حتى استرخيا كلاهما واخذا يضحكان. قد يكون ذلك نتيجة لدفء الشمس، أو لصوت المياه الصادر من تحت المجاذيف، أو ربما فقط نتيجة للشعور الرائع الذي يحدثه النسيم وهو يتغلغل في شعرها، وفجأة أدركت أليكس انها لأول مرة منذ فترة طويلة تشعر بالسعادة.

وتخلت عن حذرها.

أتيحت الفرصة لأليكس، بعد ان رفعت الأشرعة، لتجلس وتراقب بيرس فيما كان يقف عند دفة المركب، وساقاه الطويلتان ثابتتان، وكأنه معتاد على هذا المحيط، وانه يشعر بالارتياح وهو يرتدي سروالاً متواضعاً اكثر من

ارتدائه بذلات غالية الثمن، كان من المستحيل ان تنظر اليه ولا تشعر بأن قلبها قد ازدادت خفقاته، فلم يكن هناك كلمة مناسبة لوصف روعة هذا الرجل، وكل ما كانت تدركه، هو انها تراه جميلاً جداً.

بدا في عينيها مزيج من تعابير التوق والكآبة لتلك الأفكار، توق لو ان الأمور كانت مختلفة، ثم طردت تلك الأفكار من رأسها، لأن النهار كان جميلاً جداً لكي يفسد بهذه الأفكار الحزينة، وعندما استدار بيرس، بعد دقائق قليلة، ليبتسم لها لم تستطع الا ان ترد له الابتسامة بمثلها.

سألها وهو يشير إلى المقود: «ما رأيك بقيادة الدفة؟»

ولم تتردد في قبول التحدي.

كان احساساً ذكياً بالقوة لشعورها ان المركب يستجيب لأصغر اوامرها، لكن ما من شيء كان يشابه الانتقاد الذي نشرها فيما كان واقفاً وراءها، ساد السلام بينهما لأول مرة، وها هما متفقان مع بعضهما البعض، ومالت برأسها إلى الوراء وهي تضحك بفرح.

فعلق بيرس على ذلك قائلاً: «هل اعتبر انك سعيدة لأنك اتيت؟» وكان بامكانها ان تسمع رنين ضحكته في صوته.

مالت أليكس برأسها إلى الوراء اكثر، ونظرت اليه بعينين لامعتين وقالت: «لم الاحظكم افتقدت لهذا.» لم يكن هناك الكثير من الوقت لديها للتسلية مؤخراً.

ظهرت في عينيه نظرات رقيقة فيما كانتا تتأملان ملامحها، ثم طبع قبلة سريعة على خدها، وقال: «آه، فكرت انها قد تسرك.» قبل ان يعد يده ليوجه الدفة التي انزلقت من بين اصابعها، قائلاً: «انتبهي إلى مسارك.»

www.liilas.com

أجبرت أليكس نفسها، وقلبها يخفق بسرعة، على ان تركز على ما تقوم به، لكن ذلك بدا صعباً، فتلك القبلة القصيرة سرت في جسمها وكأنها صدمة كهربائية قوية. الا ان كلماته هي التي جعلت حاجبيها يقطبان قليلاً.

فسألته بصوت اجش: «ألهذا نحن هنا، لتسرني؟»

فاجابها برقة: «أليدك فكرة افضل؟»

ارتجفت أليكس كردة فعل على دفء نبرة صوته، وأجابته: «لتسرك.»

أجابها بيرس ببساطة: «سروري يسعدني، يا أليكس.» ومال برأسه نحو رأسها، ورفع يده ليشير إلى نقطة امامها، قائلاً: «هل ترين تلك الجزيرة؟ اعتقد اننا سنرسو هناك لتناول الغداء. يمكننا ان نسبح ايضاً، ايبدو ذلك جيداً؟»

تملك أليكس شعور جنوني لمعرفة انها لم تعرف اهي واقفة على قدميها ام على رأسها. فاجابته بحدة: «كثيراً.» ثم سألته ببساطة: «بيرس، لماذا تفعل هذا؟ لماذا اصبحت لطيفاً جداً معي فجأة؟»

اجابها دون تفكير: «الا تعتقدين انك تستحقين ان تعاملي بلطف؟»

«هذا ليس ما اتوقعه منك، لا بد من وجود دافع آخر.»

«هناك دافع آخر.»

حوّل ذلك الاعتراف قلبها إلى ثلج، فقد بدا وكأنه يؤكد كل ما فكرت به، فقالت وطعم مرارة الغضب على لسانها: «تحملني إلى الاستسلام دون قتال.»

أجابها: «كان بإمكاني القيام بذلك في اي وقت، وأنت تعرفين ذلك.»

كانت تلك حقيقة لم تزعج نفسها بنكرانها، انه يملك جاذبية لا تقاوم، لا يمكنها ان تنتصر عليه، وبكل صراحة لم تكن تريد ذلك، لكن إلى اين اوصلها ذلك الآن؟ وسألته: «اذاً، ما الذي تريده؟»

نظر بيرس اليها وعيناه الزرقاوان تظهران عمقاً مدهشاً من ازدراء الذات، ثم قال: «معجزة، وليس هناك العديد منها هذه الأيام، كم تعتقدين مدى امكانية حدوثها؟»

حبست أليكس انفاسها، بدا وكأنه يجس نبضها، باحثاً عن اجابة لسؤاله في اعماق نفسها، حتى انه بدا تقريباً غير متأكد، متردد. جاء جوابها مزعزعاً لرجائه اذ قالت: «قليلة جداً.»

ضحك لذلك وقال لها: «نتجه انا وأنت على الاتفاق على اشياء اكثر كل يوم، هاتي، من الأفضل ان تتعيشي لتتسلم القيادة، لِمَ لا تتزلجين إلى الأسفل وترين ما حضرته لنا كانيغا؟»

فعلت ما اقترحه عليها فقط لأنها كانت بحاجة لكي تفكر، لقد اعتقدت هذا الصباح انها ادركت ما يسعى اليه، اما الآن فإنها لم تعد متأكدة تماماً، قال معجزة، لكنه لم يحدد اي نوع من المعجزات، وهذا يعني ان هناك أمراً يريده، لكنه ليس متأكداً من انه يستطيع الحصول عليه. وذلك كان امراً لا يصدق بالنسبة لبيرس. لقد عرفت من الخبرة انه عندما يريد شيئاً يفعل ما بوسعه حتى يناله، ألم يستغلها حتى يستعيد اسطول السفن التجارية، ألم يستغل اخلاصها وحبها لوالدها لكي يرغمها على الزواج منه ثانية؟

لم تحمل تلك الشكوك اي تفسير عقلاني تماماً كما التغيير في تصرفاته منذ اللحظة التي تزوجا فيها، مرت

www.liilas.com

اوقات كان يتصرف وكأنه حبيب، يفعل اشياء ليثير البهجة في نفسها، ليجعلها سعيدة، وكأنه اراد هذا الزواج ان يكون زواجاً حقيقياً، وليس مجرد عقد كما كانا متفقين. لماذا شعرت وكأنها على وشك اكتشاف شيء مذهل؟

قطع صوت بيرس حبل أفكارها بقوله: «هل أنت بخير في الأسفل؟» فرفعت رأسها بقوة ولاحظت متأخرة انهما قد رسيا.

صاحت قائلة: «اني قادمة.» واخذت تبحث بسرعة عن الطعام، فوجدت صندوقاً مبرداً صغيراً مدفوعاً تحت الطاولة. أمسكت به وسحبته وكانت على وشك الصعود الى سطح السفينة عندما ظهرت ساقان طويلتان على الدرج، ومد بيرس يديه ليأخذ الصندوق منها، تلامست أصابعهما، وارتفعت عيناها إلى عينيه، لتلتقي وتتخبط في الدف الذي وجداه هناك.

قال لها: «بيدي وكانها وضعت طعاماً يكفي لمعسكر، هل تريدين ان تأكلي الآن، او تسبحين اولاً؟»

تخلت أليكس عن بذل الجهد لمحاربة الارتباك الذي تسببه لها تصرفاته. اضافة لذلك، كانت تعرف في اعماق نفسها انها ليست مضطرة حقاً للتفكير على الاطلاق. قد يكون ذلك ذروة الجنون، لأنها اليوم كانت ببساطة على استعداد لتقوم بخطوة...

لذا ابتسمت له ابتسامة عريضة، وقالت: «اني اتوق للسباحة.»

قال وعيناه تلمعان: «انكر انك كنت فتاة البحر في الماضي، فقد كان من الصعب اخراجك من البحر عندما تنزلين اليه.»

تنهدت بغضب وقالت: «احب ذلك! لقد كنت كذلك ايضاً، لا بل اسوأ. انه لمن العجب كيف يمكنك انجاز اي عمل.»

نظر اليها نظرة ساخرة وقال: «لم تحاولي مقاومتي كثيراً. ولقد كنت، في الحقيقة، مذهلة اكثر من المياه.»

مسحت تلك الكلمات الابتسامة عن وجهها، تاركة اياه متزعجاً. وأجابته بحدة: «أوه، اني اشك بذلك، رغم انك قمت بمحاولة جيدة لتتظاهر بذلك.»

أجابها بيرس بعد هنيهة: «كانت عاطفتي نحوك صادقة جداً، يا أليكس، ذلك امر لا يستطيع الرجل التظاهر به.»

استدارت بسرعة، وشفتيها ملتويتان بسخرية.

وقالت: «على أية حال اصبح ذلك من الماضي الآن.» إلا أنها لم ولن تتساهل وأضافت بتحدي: «سأسابقك وصولاً إلى الشاطىء.» وقفزت إلى حافة المركب و غطست بهدوء في المياه المتلألئة.

لم يكن هناك مجال للمنافسة، لكنها كانت تعرف ذلك، عندما قامت بالتحدي، وكان اقتراحها ذاك فقط ليحولهما عن موضوع مؤلم جداً، فلطالما كان بيرس هو السباح الأفضل، إلا انه فاجأها بالبقاء على مقربة منها ولم يسبح بسرعة وقوة متزايدتين كما تصورت انه قد يفعل. وصلا الى الشاطىء معاً، وسارا بترنح إلى حيث المياه الضحلة ليرتميا على الرمل الرطب، تاركين الأمواج الرقيقة تدغدغ ساقيهما.

وبعدما التقطت انفاسها واصبح بامكانها الكلام، قالت: «كانت المسافة ابعد مما تصورت. اني متعبة.»

استدار بيرس على صدره، بجانبها واجابها: «ما كنت

www.liilas.com

لأقول ذلك، تبدين في حالة جيدة جداً من هنا.» كلماته جعلتها تدير رأسها بسرعة.

حدقت في عينيه وهما ترمقانها بدف، مما جعل وجنتيها تزدادان احمراراً. أعادت التوتر إلى صوتها بشكل غرائزي فقالت: «لا حاجة لأن تغازلني.»

نظر إليها بتأمل وقال: «اعرف، لكني استمتع بذلك.»

كتمت آهة، وقالت: «حسناً، اني لا افعل.»

مدّ بيرس يده ليبعد خصلة شعر ملساء عن وجهها، وقال: «ما اعهدك ابداً كاذبة هكذا.»

ردت قائلة: «لا يمكنني أن أقول الشيء نفسه عنك، اليس كذلك؟» متوقعة ان تثير غضبه، لكن بدلاً من ذلك اكتفى بأن أومأ برأسه موافقاً.

وقال: «اني ادهش لنفسي كم كنت بارعاً في ذلك، لكن اتعرفين ماذا يقولون؟ الاخطاء التي تقومين بها مجتمعة عليك ان تدفعي ثمنها واحدة واحدة.»

كانت هناك نبرة في صوته جعلتها تتجهم، وسألته: «وهل انت تدفع؟»

تنهد بيرس واراح ذقنه على يده ليجيبها قائلاً: «اني ادفع منذ ان فارقت اول كذبة شفتاي. أمر يجب ان يسرك، يا أليكس. ألا تريدين ان تريني اتألم؟»

كان سؤالاً مباشراً، اجابه قلبها دون اي تردد، لا، انها لا تريد ان تراه يتألم، ولاحظت فجأة بعد كل هذه السنوات انها ليست راغبة بالانتقام، لا يمكنك ان تحب شخصاً وترغب في رؤيته يتألم. ولا اهمية لما قد تقوله او تفكر به في لحظة الانفعال الشديد.

لم تستطع رغم ذلك، الاعتراف له بمكنونات قلبها، لأن ذلك سيجعلها عرضة للسقوط بيده اكثر، لذا كان من الاسهل ان ترفع درعها لتخفي عينيها، وتقول برقة: «اني لا استمتع برؤية احد يتألم، هناك الكثير من الألم في هذا العالم.»

فقال لها بصوت اجش: «شكراً.» عندها كان عليها ان تنظر اليه متسائلة: «على ماذا؟»

ظهرت ابتسامة على شفتيه تحمل مزيجاً من المرارة والسخرية، واجابها: «على ذكري في كلامك هذا، لطالما كنت امرأة كريمة ومحبة، إني سعيد لأرى ان كرمك لم يمت.»

ماذا عن المحبة؟»

لم يكن هناك مجال للكذب، أو للاجابة عن سؤاله، فجلست بشكل مقاجئ، وهي تعرف ان وجهها يظهر ما في نفسها، فاجابته متعمدة اساءة فهمه: «ان كنت تحاول ان تعرف كم عدد المحبين الذين لدي، اذن اهتم بشؤونك الخاصة.»

قال لها بيرس بهدوء: «ليس لديك أياً منهم.» وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان للحظة قبل ان يتابع خفقانه بجنون.

واخذت تحدق به بانشداه، وسألته: «ما... ماذا؟» كيف عرف ذلك؟ وخطر لها الجواب على الفور، فسألته بغيظ: «هل تقصد ان تخبرني بانك كنت تلاحقني؟»

قال: «افضل القول اني ابقيت عليك عيناً صديقة.»

صرخت أليكس بغضب شديد قائلة: «لم نكن صديقين يوماً، يا بيرس. ثم كيف تجرؤ على التجسس علي؟»

قال لها برقة: «كيف كان بامكاني ان أعرف انك في مأزق وبحاجة لمساعدتي؟ وعندما يصل الأمر إلى الصداقة،

www.liilas.com

فانها تقيم على مدى رغبة اولئك المستعدين لمساعدتك عندما تكونين بحاجة لذلك، ونسبة لذلك، انني افضل صديق لك.»

كان على حق تام في ما قاله. رغم ان الاعتراف بذلك وقوله بتلك الطريقة، مؤلم. ورغم ذلك قالت: «لم تكن تساعدني، كنت تساعد نفسك للوصول إلى شركة ابي!»

«لم أكن أريد ولا كنت بحاجة للشركة، فقد ظن مستشاريي الماليون انني احمق لأخذها كما هو حالها، لأنها سوف تبتلع المال كجرة دون قعر. لو انها كانت لاحد غيركم لكنت تركتها تتحطم.»

رفعت يدها إلى صدغها وهي تحدق به غير قادرة على تصديق ما تسمعه. سألته: «اتقول انك انقذت الشركة من اجلي فقط؟»

«اعترف لها بفظاظة قاتلاً: «ما من شيء آخر كان ليغريني باقحام نفسي فيها.»

«لكن... لماذا؟»

رفع احد حاجبيه وسألها: «لماذا؟ هل قرأت شعر لوفليس يوماً؟»

تجهم وجهها اكثر وسألته: «الشاعر؟ لا.»

«اذاً، ربما عليك القيام بذلك.» كان جوابه الوحيد فيما وقف ومد لها يده. أمسكتها أليكس بشكل عفوي، وعيناها تبحثان في عينيه فيما هي واقفة امامه. لكن بيرس ابتسم ابتسامة مبهمة فقط وقال: «لنعد، انني جائع، وبشرتك بدأت بالاحمرار. انك بحاجة لتضعي شيئاً عليك والا فانك ستحترقين...»

لم يكن لمام أليكس الكثير لتقوم به فيما كان ممسكاً بيدها ومتجهاً نحو المياه، رغم ان رأسها كان يعج بالأسئلة. ومن جديد بقي بيرس على مقربة منها فيما سبحا عائدين الى اليخت، وتسلقه اولاً ليساعدها على الصعود. الا انه احبط عزمها هنا ايضاً لسؤاله، وذلك بأن رمى اليها منشفة وحول انتباهه الى الصندوق المبرد.

وضع بسرعة كبيرة مجموعة من الاطعمة على مقعد الجلوس الطويل بينهما، كما انه فتح زجاجة من الشراب. منظر الطعام جعلها تدرك كم هي جائعة، وتخلت عن كل افكارها لتتحول إلى الطعام.

لم يتكلم اي منهما كثيراً فيما هما يتناولان انواع السلطة المختلفة واللحوم المبردة. استرخت أليكس من جديد، وعندما اختفت قضمة من البلوبيري، لسوء الحظ سالت البذور على ذقنها ولم تستطع الا ان تضحك.

قال بيرس: «من الجيد رؤيتك غير متجهمة.» وضحك هو أيضاً، فيما جلس القرفصاء امامها ومسك بذقنها وأخذ يمسح عنه بمنديل ما سال عليه.

ماتت ضحكتها، واجابته: «لم يكن هناك الكثير مما يثير الابتسام.» وتوترت في داخلها، لأنها كانت متأثرة جداً بلمسته.

سكن بيرس، وقال: «اعرف ماهية ذلك الشعور.»

ونظرت اليه نظرة ملأى بالشك قائلة: «حقاً؟ اعتقدت انك كنت تضحك طوال الطريق إلى المصرف! اعني اسطول السفن التجارية الذي سرقته من جدي، لم يكلفك شيئاً، لكنه زادك ثراء منذ ذلك الحين!»

www.liilas.com

اختفت تلك النظرة الغريبة عندما اسدل اهدابه، ونظر اليها بثبات قائلاً: «غريب كيف ان الأمور تؤول دائماً إلى هذا الأمر. انك تعرفين الحقيقة، يا أليكس، رغم انك ترفضين ان تتقبليها.»

ضاقت عيناها وصاحت: «كان مصدر كبريائه وفرحه!» لمع الغضب في عينيه ايضاً وقال: «اذاً، لماذا تركه يهتري؟ كان رمزاً، يا أليكس، تذكير دائم كيف استطاع ان يخدع جدي، عدوه اللدود، لو اصلحه لكان عاد عليه بثروة، لكنه فضّل ان يراه يهتري» على أن يبيعه. لم آخذ شيئاً ليس لي شرعاً.»

كانت على وشك انكار ذلك بقوة، لكنها توقفت لأن ما قاله يحمل صدى الحقيقة. لطالما اعتبرت دائماً ان جدها كان يحب اسطول السفن، ان كان كذلك لماذا تركه يهتري؟ أليس لأن كان يفتقر للمال، لأن تكاليف احلامه بالنسبة إلى يانيس بترلكوس كانت لتكون كنقطة ماء في المحيط، بدا ذلك وكأنه من اجل لذة الانتقام. من اجل الكراهية التي اصر بيرس على انها كانت توجه كل اعماله. او لم تعرف دائماً ان جدها كان رجلاً قاسياً؟ كان سمح النفس طالما انت تفعل ما يريده وتعرف حدودك، ولم يكن والدها على استعداد لقبول ذلك، لذا غادر ليشكل حياته الخاصة، حياة لم تكن تحمل اية ضغينة تجاه عائلة اندرياس.

هزها بيرس، الذي كان يراقب تعابير وجهها المتغيرة فيما طال صمتها، وسألها برقة: «هل فهمت الآن؟»

لقد فهمت، لكن كان هناك الكثير غير ذلك، فقالت بصوت مرتعش: «وماذا ان فهمت؟ فذلك لا يبرر شيئاً. فالغاية لا

تبرر الوسيلة، ذلك لا يبرر الطريقة التي استغليتني بها لتستعيد السفن دون اي مقابل.»

تركها بيرس ونهض وعلى وجهه تعبير ساخر، وقال: «على العكس، لقد دفعت ثمناً غالياً جداً.»

صعقتها تلك العبارة البسيطة، فنهضت على قدميها على الفور وصاحت قائلة: «ماذا تعني؟ كنت هناك، اتذكر؟ لم تدفع له مالاً.»

ارتسم على شفتيه التواء قاس فيما هو يتأملها وقال برقة: «كانت هناك أمور أهم بكثير من المال.» وبدأ يجمع ما تبقى من وجبتهما.

راقبته أليكس بتوتر جامح وقالت: «ماذا يعني ذلك؟ ويحك يا بيرس، لا يمكنك ان تقول عبارة كتلك ولا تشرحها.»

ضحك انما بتجهم وعلق بقوله من فوق كتفه: «لم تتعلمي بعد اني استطيع ان افعل اي شيء اريده؟ اضافة لذلك، انك لست مستعدة بعد للاصغاء إلى تفسيرات.»

ثم تجاهلها، نظر إلى الشمس وأضاف: «لقد حان الوقت لنعود، سنتأخر ان انطلقنا الآن، وأنا لا اريدهم ان يرسلوا فرقة للبحث عنا.»

قال ذلك وهو يقف إلى جانب العارضة الخشبية، تاركاً أليكس تختنق بغيظها، فقالت بحدة: «ذلك لن يجدي نفعاً.»

«لا تكوني متذمرة، ستجعلينني اعتقد انك اصبت بالاحباط.»

صرّت أليكس على اسنانها وقالت له: «احياناً احتقرك فعلاً، يا بيرس مارتينو.»

www.liilas.com

التقط الصندوق المبرد، وسار نحوها ليعطيها اياه، الا انه لم يتركه على الفور عندما امسكته، سألها برقة: «لكن ماذا عن الأوقات الأخرى؟ بماذا تشعرين نحوي عندها يا أليكس؟»

أجابته: «أحاول في الأوقات الأخرى ان لا افكر بك ابداً» وأمسكت بالصندوق، الذي تركه اخيراً.

ضحك ضحكة خافتة وقال برضى: «اذاً هناك امل لي بعد، فطالما انك مازلت تحاولين، فانني استنتج من ذلك انك لم تفلحي.» ثم لحنى رأسه نحوها.

رفعت أليكس على الفور يدها الطليقة لتبعده، ثم ذكرته قائلة وان بشق النفس: «قلت انك لن تلمسني!»

انتصب انتصاباً ورفع يديه بعيداً عن جسمه وقال: «انظري، يداي بعيدتان.» واحنى رأسه ليطبع على وجنتها قبلة سرقت انفاسها وجعلت النار تجري في عروقها.

ارتجفت ولم تعد تقوى على كبح ردة الفعل التي يريدها. لكن، من حسن حظها انها كانت تمسك بالصندوق. شكرت حظها على انها لم تتماد عندما ابتعد بيرس عنها بعد دقائق قليلة فقط.

كانت عيناه الزرقاوين تظهران عاطفة مكبوتة حين قال: «انني احافظ على وعدي دائماً، يا أليكس... الا اذا كنت تريدينني ان استمر؟»

لم تكن تريده ان يفعل، وكان يعرف ذلك، وكان هذا هو السبب الذي جعلها ترجع خطوة الى الوراء بساقين مرتجفتين، واجابته: «قلت ان علينا العودة.»

انتصب وقد زالت نظرة العاطفة لتحل محلها نظرة مرحة وقال: «بامكانك ان تجعليني ابدل رأيي.»

أخذت أليكس نفساً متقطعاً وقالت: «لا اريد ان افعل ذلك.»

قال لها: «سافعل يوماً ما تطلبه مني عيناك، وليس ما تقوله شفتاك، حينها لن تقاومي حتى.» وذهب ليرفع المرساة.

أخذت تحدق في ظهره، وهي تعرف ان ذلك صحيح، كان القتال يصبح اصعب اكثر واكثر عندما تكون هي العدوة الدودة لنفسها. تنهدت تنهيدة عميقة ونزلت إلى الأسفل.

www.liilas.com

الفصل التاسع

كان موعد العشاء قد حان تقريباً عندما رسى اليخت في الميناء. لم يعرض عليها بيرس محاولة قيادة الدفة مرة اخرى. اما أليكس فقد كانت غارقة في افكارها الخاصة لمجرد الحلم حتى في ان تطلب ذلك. كان لديها الكثير الكثير لتفكر به، فكثير من الأشياء قد اتضحت لها اخيراً، كان في كل مرة القليل فقط يقال فيزاح بعض الغموض، وخامرها احساس متزايد بأن شيئاً مهماً وحيوياً سيتضح لها عندما يزول آخر وجه من هذا الغموض.

لم يكن هناك شك الآن في تصديق روايته في ما يختص بالسفن التجارية، وغرقت فيما هي تفكر بالأمر الآن، بمعزل عن ألم خيانته الذي لطالما ضلل حكمها، ان بيرس كان يقول الحقيقة دائماً. لكن، كما قالت له ان ذلك لا يبرر ما فعله، ومع هذا فان ذلك الأمر اصبح غير واضح تماماً الآن. ان اضفنا له ما قاله بأن مساعدته لوالدها كانت من اجلها... وفجأة لم تعد تعرف بماذا تفكر. لقد خمدت حدة غضبها.

كم تمنت لو انه اخبرها ذلك من قبل، لكن حدسها جعلها تعترف بانها ما كانت لتصدقه. قال انها ليست على استعداد بعد لسماع ما يريد قوله، ولم تكن كذلك. الا انها كانت تقترب من تلك الحالة الآن. لكان الأمر مختلفاً حتى قبل أسبوع، اما الآن فانها تريد ان تسمع... لو انه يتكلم فقط.

تعثرت فيما كانت تخطو نحو حاجز الماء على الميناء، إلا ان حركة بيرس السريعة انقذتها من الاصطدام بالاسمنت وسحبها بثبات نحوه، رفعت نظرها إليه، مباشرة إلى تلك العينين الزرقاوين اللتين لا يسبر غورهما.

سألها بيرس بصوت بدا مضطرباً: «هل انت بخير؟» وأجبرت أليكس نفسها على ان تطلق ضحكة متوترة من حنجرة مطبقة. وقالت ممازحة: «لا اعتقد انني استعدت قوة ساقيّ المتخدرين بعد؟» فيما كان صوت في داخلها يقول لها ان كل ما عليها القيام به هو ان تلغي الفجوة الصغيرة التي بينهما.

قال لها: «إذاً، علي ان احملك، أليس كذلك؟» وأقرن القول بالفعل قبل ان تتمكن أليكس من الاعتراض، ولم تكن تنوي ذلك. حملها إلى عربة الخيل التي أحضرها إلى هناك، تاركة نفسها للسكينة التي هي على مقربة منها.

وضعها في مقعدها، وبقي بيرس منحنياً فوقها وسألها برقة: «هل احصل على شكر؟»

وقررت أليكس فجأة انه كفاها التفكير مرتين. ولم تفكر هذه المرة على الاطلاق، انما قبلته قبلة رقيقة، وسألته برقة مماثلة: «هل تفي هذه بالغرض؟» فانتصب وهو يتأوه.

واجابها بسخرية لطيفة: طيس كثيراً، انما هنا في العلن، إنها كل ما يمكنني ان ارجوه.» واستدار ليجلس في مقعده تاركاً أليكس وقد انتقدت وجنتيها.

كانت الرحلة إلى الفيلا قصيرة، انما كافية بالنسبة اليها لتعترف بانها قطعت مسافة طويلة منذ الأمس، حتى منذ هذا الصباح، وانها تقوم بأشياء في العلن كانت لتقاتل ضدها

www.liilas.com

بيديها واسنانها قبل ساعات قليلة فقط. ربما السبب في ذلك يعود إلى الجزيرة، أو لعدم عدائية بيرس. لكنها كانت تدرك ايضاً انها لم تعد تهتم كثيراً لكبريائها.

التقتهما كاتينا التي كان قلقها واضحاً عندما دخلا إلى الفيللا ليجدا حشداً من اليونانيين، الأمر الذي اثار حيرة أليكس وجعل بيرس يقطب حاجبيه.

سألته أليكس: «مشاكل؟» عندما عادت مديرة المنزل إلى المطبخ.

اجابها وقد بدا غارقاً بالتفكير: «اتمنى ألا يكون كذلك. كانت الشركة تحاول الاتصال بي، هذا كل ما في الأمر، من الأفضل ان اذهب لاتصل واعرف ما الأمر.» كان ينظر اليها وهو يتكلم، فابتسم واضاف: «لن يتطلب ذلك وقتاً طويلاً، سأنضم اليك بعد ذلك لتناول العشاء.»

راقبته أليكس فيما كان يبتعد، ثم اتجهت إلى غرفة النوم. كانت مدركة تماماً فيما كانت تستحم وتبدل ملابسها انهما على ابواب نقطة تحول. ومع ذلك اتجرؤ هي على القيام بتلك الحركة المهمة فقط لأجل ما حدث خلال يوم واحد؟ ارادت ذلك، لأنها تحبه، لكنها بحاجة لتعرف ان كان هو يهتم بها حقاً. ولم يكن هناك سوى اثبات بسيط على ذلك حتى الآن، لذلك مازالت مترددة.

رغم ان بيرس لم يعد إلى غرفة النوم قبل ان تغادرها، الا انه لم يمض وقت طويل حتى انضم اليها في غرفة الجلوس. ومع ذلك، فقد بقي منشغلاً بافكاره طوال فترة تناول الطعام. كانت اجاباته لمحاولاتها الهادفة لاقامة محادثة بينهما قد اصبحت مختصرة بشكل متزايد، لذا توقفت أليكس عن ذلك

اخيراً. واستمر الصمت طويلاً حتى بعد ان خرجا إلى الشرفة لتناول القهوة. ووجدت نفسها تحدق في ظهر بيرس فيما كان واقفاً يتأمل البحر. فقررت عند ذلك بانه يكفي إلى هذا الحد.

فسألته: «ما الخطب يا بيرس؟» وعيناها تنظران إلى عضلات ظهره المشدودة تحت سترته البيضاء.

لا بد انه كان سارحاً بعيداً جداً، لأنه جفل عند سماع صوتها، واستدار نحوها وهو يبتسم ابتسامة اعتذار وقال: «آسف، هل كنت اتجاهلك؟»

صرّت أليكس على اسنانها وقالت بنوع من الحدة المرتبكة: «لا تحاول التظاهر هكذا. هناك خطب ما، اليس كذلك؟ الا يمكنك ان تتكلم عنه؟»

لم يقل شيئاً، بل عاد ليجلس على المقعد إلى جانبها، ووضع ساقاً فوق الأخرى. ثم قال: «ليس هناك من شيء لتزعجي نفسك بالتفكير فيه. من المفترض ان تكون هذه عطلة.»

كان ذلك المسار الخاطىء، إن كان يفكر في ان يحول انتباهها عن الأمر. ضاقت عيناها وقالت باصرار: «انها ليست عطلة. انه شهر عسل. انا زوجتك.» وشعرت باعتصار في معدتها لصدى الملكية التي توهي بها تلك الكلمات إلا انها تابعت: «إن لم يكن بامكاني القيام باي شيء، على الأقل استطيع ان استمع ولحاول تخفيف العبء.»

نظر بيرس إلى قهوته، ثم اجابها بلهجة ساخرة: «لقد اخترت وقتاً ملائماً لتبدأي في تثبيت وضعك.» وسرت في جسدها رجفة لتلك الكلمات.

www.liilas.com

جعلها ذلك الاستنتاج تتوقف فجأة وتفكر قبل ان تقف على قدميها، شيء ما لم يكن يبدو صحيحاً، وضغطت على شفتيها عندما ادركت ما هو. فقالت بثبات: «لا يمكنك ان تجعلني اتجادل معك يا بيرس. اريد ان اعرف.»

اجابها وهو يضحك استهزاء: «حسناً، حسناً، حسناً، عرفت انه سيأتي يوم تبدأي فيه ادراك ما في نفسي، لكني لم اتوقع ان يحدث ذلك الليلة. حسناً ان كنت تصرين. لقد حدث صدع صغير في احد مراكز منشآتنا. انه احد مشاريعي المحببة، لذا من الطبيعي ان اجد صعوبة كوني لست على مقربة لمد يد المساعدة.»

«أي نوع من التصدع؟»

حدق بيرس في وجهه وسألها: «هناك عدة اسئلة مثل من يملك الأرض التي تبني عليها؟»

شعرت أليكس ان بعض التوتر قد فارقها وسألته بارتياب: «هل هذا كل ما في الأمر؟ اعتقدت من تصرفك ان الأمر اهم من ذلك.»

ابتسم لها ابتسامة رقيقة وسألها: «وهل لكذب عليك؟»

أجابته: «اجل، ان كان عليك ذلك. ان اعتقدت ان ذلك ضروري.» وعرفت على الفور ان ذلك ليس سوى الحقيقة. ولقد كانت على الأرجح الحقيقة دائماً... وكان يجب ان تدرك شيئاً من ذلك.

بدا بيرس هادئاً تماماً، الا ان عينيه كانتا يقظتين. قال: «الآن هناك سؤال ممتع. هل تعتقدين انك أخيراً قد اصبحت قادرة على فهمي، يا أليكس؟»

ادارت أليكس بوجهها استياء، لأنها لأول مرة في

حياتها بدأت تعتقد انها تفهمه. فقالت ساخرة: «الم تقل انه قد حان الوقت لذلك؟» وقد شعرت انها بحاجة لبعض الحماية حتى في هذا الوقت.

مرّر بيرس يده في شعره بعد سماعه اجابتها تلك تاركاً اياه مبعثراً، ثم سألها: «امور كثيرة فات موعد استحقاقها منذ زمن طويل بيننا. فأية نتائج استخلصت؟»

اجابته: «انك رجل معقد جداً.» فيما هي تنظر إليه من خلال اهدابها ورأت الطريقة التي لوى فيها شفتيه.

قال موافقاً: «معقد كما احجية صينية.» وجفلت أليكس قليلاً للمفاجأة.

اجابته: «كان لدي احجية صينية يوماً، كانت معقدة جداً. وحدث في يوم من الايام، صدفة تقريباً، انني اكتشفت فجأة مفتاحها، وبالطبع وجدت انها لم تكن معقدة لتلك الدرجة اطلاقاً. يمكنني حلها وعيناي مغمضتان.» وشعرت باضطراب غريب في داخلها، دون ان تعرف سبباً لذلك.

عاود بيرس النظر اليها برزانة وقال لها: «انه امر متعارف عليه عالمياً ان الاجابة دائماً تصبح سهلة عندما تعرفينها، الأسئلة الصعبة هي تلك فقط التي لا تعرفين لها اجوبة.»

«تعني ان هناك جواب منطقي لكل شيء؟»

بسط ذراعيه واجابها: «حتى أنا.»

كانت هذه لعبة بين الهرة والفأرة مع فارق هو ان الأمر هنا كانت نتيجته مخاطرة وليس مجرد نصر في معركة الكلمات. فقالت له: «الأمر الذي يتركني امام سؤالين، هل اريد ان اعرف الإجابة؟ وان كان الأمر كذلك كيف علي ان ابحث عنها؟»

www.liilas.com

غابت عن وجه بيرس كل تعابير المرح فيما كان ينظر اليها من خلال عينيه اللتين ضاقتا، واجابها بحدة متعمدة في نبرة صوته: «حسناً، في الوقت الحاضر لا استطيع مساعدتك فيما يتعلق بالسؤال الأول، اما بالنسبة للسؤال الثاني كم من مفتاح تريدين، يا أليكس؟»

سألته بحدة: «كيف لي ان اعرف فيما انت تعطيني نصف الحقائق فقط؟» وقد شعرت ان الفرصة تفلت منها في الوقت الذي بدا لها انها تحرز تقدماً.

نهض بيرس واقفاً على قدميه بحركة مفاجئة. واجابها بفظاظة: «انك لا تريدين الحقائق، يا أليكس. انك تريدين تأكيدات.»

فاتجرت هي ايضاً قائلة: «وهل تلك جريمة؟ ماذا تريد مني، يا بيرس؟» وبدا اليته ادرك انها كانت صريحة من القلب.

أجابها برقة: «ماذا تريدين انت مني، يا أليكس؟» ثم وقد رأى ارتباكها الجلي، تنهد بعمق وقال: «ان قررت ذلك، تعرفين اين تجدينني. علي ان اقوم باتصال هاتفي آخر. اعذريني.»

نظرت إليه أليكس وهو يذهب بقلب غائر، لقد كانا قريبين جداً، عرفت ذلك في قرارة نفسها. ومع ذلك... قريبان من ماذا؟ لماذا يجعل الأمور معقدة لهذه الدرجة؟ ورغم ذلك الم تقل للتو ان الاحجية الصينية بقيت معقدة إلى ان عرفت مفتاح حلها؟ ذلك يعني ان هناك اجابة بسيطة. لماذا تكبد كل هذه المتاعب لكي يساعدها؟ كان يستطيع ان يقوم بذلك بسهولة تامة دون الزواج منها! مما يعني فقط انه اراد الزواج منها.

بدأ رأسها يؤلمها فضغطت يديها على صدغيها. كان ذلك كله لا يحملها إلى نتيجة عقلانية، ولا يتفق مع ما عرفته عنه دائماً. ومع ذلك بدأت اليوم فقط تكتشف انها لم تعرفه فعلاً على الاطلاق. مما يعني... ماذا؟ ان ما من شيء كان كما بدا لها، سواء في ما مضى ام الآن. الا انه لم يكن هناك ما ينكر الواقع وهو انه جرحها بقسوة كبيرة. ومن الصعب ان يكون ذلك امر يقوم به رجل محب. ثم تذكرت انه مدّ يد العون لوالدها في حين لم يكن مجبراً على القيام بذلك.

اوقف التفكير بوالدها تساؤلاتها فجأة، ليخطر لها انه كان من المفترض بها ان تتصل بأمها عندما وصلا امس، يجب عليها فعلاً ان تتصل بالمنزل. نظرت إلى ساعتها نظرة سريعة فادركت ان الوقت ليس متأخراً جداً ان تصرفت بسرعة. فذهبت للبحث عن بيرس وهي تعتزم ذلك. وحينما لم ترَ أي اثر للهاتف، ادركت انه لا بد موجود في غرفة مكتبه، اين يمكن ان تكون تلك الغرفة؟

وحدث ان التقته خارجاً من الغرفة. قال وفي صوته نبرة حادة للسخرية: «تبحثين عني؟»

أجابته: «اردت ان استعمل الهاتف للاتصال بوالدتي. كان علي ان افعل ذلك بالأمس.» وشعرت لسبب ما بحياء كبير. ربما كان ذلك نتيجة لملامح وجهه المتجهمة التي جعلتها تشعر انها مخطئة نوعاً ما.

اختفى التجهم عن وجهه، وعادت السخرية لتظهر في نظرات عينيه وسألها بتعب: «هل من شيء آخر؟» واعاد فتح الباب مظهراً كياسة بالغة متعمدة واضاء النور ثم قال:

www.liilas.com

«تفضلي. ان رمز هاتف المدينة موجود على مجموعة الأوراق إلى جانب الهاتف.»

«شكراً.» تمتمت بتهذيب فيما كانت تمر امامه.

ضحك بفظاظة وقال لها: «لماذا تشكرينني؟ انه هاتفك ايضاً. كل شيء هنا هو ملك لك الآن، يا حلوتي أليكس. بلغي والدتك حبي، هلا فعلت؟» ثم اقفل الباب وراءه.

وجفلت بعد مغادرته. كل شيء هنا لها؟ هل يعتبر نفسه ضمناً؟ وان كان الأمر كذلك، فماذا يعني؟ بدأت تشعر انها ضائعة، وكأنه كان يضحك عليها لأنها ومع كل مفاتيح الحلول التي اعطاها لها، ما زالت غير قادرة على رؤية الجواب!

تخلت عن تلك الأفكار وقد اربكتها وذهبت لتجري اتصالها الهاتفي. وكما توقعت كانت أمها ماتزال مستيقظة، وتكلمتا لنحو ساعة تقريباً قبل ان تتناول إميلي بفوكوس بشأن الفاتورة التي تسجلانها، وشعرت أليكس انها مرغمة على تمني ليلة هانئة لها. شعرت بتحسن بعد تلك المخابرة رغم انها لم تحل شيئاً، لكن كان من الجيد ان تعرف ان صحة والدها كانت تتحسن الآن حيث لم يعد من داع للقلق.

تنهدت وبقيت جالسة إلى المكتب، واخذت تجول بعينيها ارجاء الغرفة في نظرة فضولية. بدت وكأنها تعكس شخصية بيرس تماماً فقد كانت عملية انما مريحة. كانت الجدران مزينة بخزانة للكتب. بعضها مليء بالكتب والبعض الآخر مليء بصور تذكارية. كانت هناك الصور العائلية المعتادة على احد الرفوف. ودون تفكير نهضت وسارت نحوها. كانت هناك صورة لرجل عرفت انه جد بيرس، إلا

انها لم تكن الصورة نفسها التي اراها لها يوماً في الشقة في نيويورك ولا بد ان الصور الأخرى كانت لافراد اخرى من عائلته. وكانت هناك صورة زفاف ايضاً مدسوسة في الخلف، وصدمت عندما لاحظت انها صورتهما، إلا ان تلك الصدمة لم تكن تذكر نسبة إلى الصدمة التي شعرت بها في ما بعد عندما تيقنت انها كانت صورة لزواجهما الأول!

وقفت هناك مذهولة. لقد احتفظ بيرس بصورة لهما؟ لماذا، بينما وباعترافه انه تزوجها فقط ليستعيد اسطول السفن التجارية؟ لماذا رجل يضمر الانتقام يفعل ذلك، إلا إذا...؟ وهزت رأسها غير مصدقة. لا، لا يمكن ان يكون كذلك، سيكون الأمر مستحيلاً جداً! لكن وفيما كانت تشيح بنظرها وقعت عيناها على عنوان احد الكتب، مئات شعرية، وتذكرت انه اشار إلى الشاعر لوفليس بعد ظهر ذلك اليوم. فلم تتردد في تناول الكتاب وفتحه للبحث عن الفهرس.

إلا انها لم تكن بحاجة لذلك لأنها فيما كانت تبحث عن تلك الصفحة انفتح الكتاب من تلقاء نفسه. وكان هناك قصيدة شعر سطر تحت آخر سطرين منها بخط احمر.

ما كنت لاستطيع حب حبيبتي إلى هذه الدرجة، لو أني لم احب الشرف اكثر.

حب؟ شرف؟ وتمسكت بالمكتبة وقد شعرت ان ساقيها لم تعد تقويان على حملها. لكان طوال هذه الفترة يحاول ان يخبرها انه يحبها؟ ولانها احبها دائماً؟ لم تصدق تحليلها للأمور. ورغم ذلك ولدهشتها، توضحت الأمور فجأة. الاسباب التي قدمها لمساعدة عائلتها، واصراره على الزواج. فعل كل ذلك لأنه احبها؟

www.liilas.com

كم تاقت لتصديق ذلك، لكنها كانت قد جرحت بشكل عميق ذات مرة مما حال دون تصديقها انه احبها. لم تتصور انها تستطيع ان تمر بتلك التجربة مرة اخرى وتبقى على قيد الحياة. خاصة وان تفسيرات اخرى تناسبت مع الظروف التي كانت تحيط بها، لكن ان كان يحبها، لماذا لم يخبرها؟ لأن لديه كبرياء. ايضاً، فحتى اشجع الرجال يخاف ان يرفض. وهي لم تمنحه اي سبب يجعله يفترض انها سترحب بحبه. انما على العكس، كانت سريعة في جرحه خشية ان تجرح، ولهذا اخبرها انها ليست على استعداد بعد لسماعه. وكان كل ما فعله هو ان اعطاها وردة وقال لها ممازحاً انه قد يكون اهداها اياها لتضع قلبه بشكل رمزي على الأرض وتدوس عليه بقدميها بدورها.

آه، يا بيرس.

كان من الممكن ان تكون مخطئة، بالطبع، لكن عليها ان تعرف ذلك، بطريقة او بأخرى، عليها ان تعرف ذلك اخيراً لأن مستقبلها كله يعتمد على ما تكتشفه. لذا اعادت الكتاب بسرعة إلى مكانه، واطفأت النور فيما كانت تغادر الغرفة متجهة إلى الفناء. الا ان بيرس لم يكن هناك ولم يكن في غرفة الجلوس ايضاً، فلم يعد هناك الا غرفة نومهما.

وجدته هناك، وكان الضوء يظهر قامته الطويلة وهو واقف على الشرفة، وشعره الرطب يلمع، دليل على انه قد انهى استحمامه وخرج للتو. ترددت للحظة، ثم خلعت حذائها وسارت على السجادة نحوه دون ان تصدر اي صوت. توقفت على مقربة منه، ورغم ذلك لم يظهر اية حركة تشير إلى انه سمعها تقترب منه.

قالت: «بيرس؟» كان صوتها صرخة خافتة بالكاد سمعتها هي بنفسها. ورغم ذلك تشنج، فقد كان في موقف انتظار. تكلمت ثانية فيما هي تمد يدها هذه المرة لتلمس كتفه ورددت: «بيرس؟»

كانت ردة فعله سريعة جداً، إذ استدار وهو يتأوه، مدّ يديه ليمسك بها ويضمها بين ذراعيه قائلاً بانفعال: «انك امرأة قاسية، يا أليكس. اعتقدت انك لن تأتي ابداً» واحنى رأسه نحوها.

شعرت ان قلبها قفز من مكانه. وامتدت يداها نحو كتفيه وفي نيتها ان تبعده لأنها ترفض ان تنصاع له وقالت: «لا. لا تفعل ذلك يا بيرس، اني...» ومانت بقية الكلمات.

ترددت قبل أن تتابع كلامها قائلة: «بيرس... انتظر!»

رفع رأسه، ونظر بعينيه المتقدتين في عينيها، وقال بصوت اجش: «لم يعد هناك وقت للانتظار، يا أليكس، كلانا بحاجة إلى بعضنا. أليس كذلك؟» وشعرت انها تكاد تختنق.

كان محقاً. ما فائدة الكلام الآن. واختفى السبب الذي دفعها إلى المجيء إليه.

«اني بحاجة اليك يا أليكس.» وضاعت تحت ذلك الاعتراف اليائس حاجتها إليه لمعانقته.

كانت تريده، ان يعانقها ليزيل فراغ ووحدة السنين الماضية. ورفعت رأسها لتقول له ذلك لكن وقبل ان تنطق باية كلمة احنى رأسه ليقبلها من جديد... وليجعلها زوجته بكل ما في الكلمة من معنى.

وتمتم قائلاً: «لا! لن افقدك مرة ثانية.» وكانت الكلمات وكأنها تخرج من بين شفتيه رغماً عنه.

www.liilas.com

تنهدت أليكس عند سماعها هذا الاعتراف، واعتصر قلبها داخل صدرها. وترقرقت الدموع في عينيها فجأة، فإن سماع زوجها الواثق من نفسه بقوة يقول ذلك، ملأ الفراغ الذي كان يعذبها. انه يهتم لامرها. يجب ان يكون الأمر كذلك. لكن هل كان ذلك حباً؟ لم تكن تعرف، لكن في الوقت الحاضر ما حصل كان كافياً، لأنها حتى الآن لم تتأكد من شيء.

لذلك جاء صوتها منخفضاً وجشاً عندما قالت: «اني لست ذاهبة إلى اي مكان.»

سحبها نحوه وقال: «آسف.» ثم ضمها بين ذراعيه.

لم تشعر أليكس قط بأمان او تدليل اكثر من الآن. وتمنت ان كان يحبها ام لا، لكنها تمنت أن يكون مغرماً بها، لأنها ما عادت تستطيع اخفاء حبها له بعد الآن. ستعرف غداً. غداً.

استيقظا في الصباح على صوت غريب مألوف. تحرك بيرس اولاً وحركاته هي التي اعادت أليكس إلى ارض الواقع. كانت ما تزال نائمة، إلا ان بيرس حرر نفسه وغادر الفراش. رفعت نفسها على مرفقيها ونظرت بعينين غائمتين على قامته المنتصبة فيما كان يسير نحو النافذة.

سألته: «ما الأمر؟» اذ لم تكن واعية تماماً بعد لتستطيع معرفة الصوت.

أطلق بيرس تنهيدة عميقة. ورفع كتفيه، ثم استدار ليخبرها بصوت مروع: «انها طائرة مروحية.» مما ازال على الفور حالة النعاس التي كانت تنعم بها وجعلها تجلس وتنتبه لما يحدث.

ظهر على جبهتها نوع من التجهم عندما لاحظت انه لم يفاجأ اطلاقاً لوصولها، انما العكس، وسألته: «هل كنت تتوقع حضورها؟»

ابتعد بيرس عن النافذة فيما كان يمرر كلتا يديه من خلال شعره، واجابها: «لقد تدبرت ذلك الليلة الماضية، لكني لم اتوقع ان استغرق في النوم هذا الصباح.»

الواقع انه كان يعرف، ورغم ذلك لم يقل شيئاً، جعل خوفاً لا تدرك ماهيته يجمد الدم في عروقها. وشعرت أليكس ان فمها قد جف إلا انها سألته بصوت خفيض لجش: «لم هي هنا؟»

نظر بيرس اليها نظرة خاطفة وقال بصوت حاد: «اخشى ان شهر العسل قد انتهى يا أليكس.» وجعل انعدام العاطفة في نبرة صوته فيما كان يتكلم، القلق يخامر قلبها فجأة. كان الأمر وكأنه مدبر، وكان الاحداث التي جرت قبل خمس سنوات تعيد نفسها الآن، ورغم ذلك رفضت ان تستسلم للتوتر الذي زحف إلى حنايا نفسها. لم تكن على استعداد بعد لتصدق بأن الليلة الماضية لم يكن لها اي معنى.

فسألته: «وماذا يعني ذلك؟»

اجابها بيرس من بين فكين ثابتين قائلاً: «ذاك يعني انه من الأفضل ان ترتدي ملابسك وتحزمي حقيبتك، اما البقية فيمكن ارسالها في ما بعد.»

سبح قلبها في موجة سريعة من الارتياح. كاد ان يصيبها بالهلع! وانطلقت منها ضحكة متقطعة وقالت: «اتعني انها جاءت لاجلنا؟ اخبرني إلى اين نحن ذاهبان لاعرف ماذا احزم.»

www.liilas.com

رفع رأسه واخذ نفساً عميقاً وقال: «ستكونين على متن الرحلة التي ستقلع إلى انكلترا.»

ما كانت لتصدم اكثر لو انه ضربها بالفعل، واطبقت أليكس اصابعها على الملاءة وسألته وقد تشوش تفكيرها: «أترسلني بعيداً؟» دون ان تستطيع رفع عينيها عن عينيه.

وجاءت ايماءة رأسه للتصديق على ذلك مفاجئة لها وقال: «من الأفضل ان تبدأي بالتحرك الآن. فالوقت قصير وقد اضعنا ما يكفي منه حتى الآن.»

اضعنا وقتاً؟ ايقول بان كل ذلك الحب كان مضيعة للوقت؟ كانت صفعة اخرى، إلا ان هذه المرة اعادتها من الصدمة. لن تدع التاريخ يعيد نفسه، هذه المرة ترفض أن تختفي بهذه القساوة. فسألته: «لماذا؟»

فردد بشكل نزق: «لماذا ماذا؟» فشعرت وكان كرة من الغضب بدأت تكبر داخل نفسها.

فاعادت سؤالها بشكل موسع وبلهجة لاذعة: «لماذا ترسلني بعيداً.» وابعدت عينيها القاتمتين عن عينيه.

إلا انه اجابها: «لأن عندي اشياء علي القيام بها ولا اريدك هنا فتعرقلي ذلك.»

وكان من السهل جداً في تلك اللحظة، ان تدع عواطفها تسيرها، الا انها كانت اكبر واكثر حكمة الآن. كانت هناك نواقيس تدق في رأسها واحداها لم تكن دقاته متناغمة. اشياء عليه القيام بها؟ اية اشياء؟ كان هذا وحتى الليلة الماضية مجرد شهر عسل. اما الآن عند الصباح فقد كان بعيدها. فما الذي حدث خلال الليل؟

ثم عرفت بالطبع، فقالت: «كذبت علي، اليس كذلك؟ ذاك

الاتصال الهاتفي ليلة امس حمل اليك أكثر مما أخبرتني به.» وقد ازعجتها الطريقة التي استبعدها فيها، والتي مازال يستبعدها عما يجري. فاضافت: «هذه هي الحقيقة. أليس كذلك؟ لم لا تستطيع ان تخبرني؟ اليس لي الحق بأن اعرف؟»

ووقعت عينا بيرس على الاتهام الذي كان ظاهراً في عينيها الرماديتين مما جعله يشد بقوة الحزام الذي كان يضعه وقال باختصار: «لم يكن هناك من داع لازعاجك بشكل غير ضروري.» وعلى الفور قفز قلبها من مكانه.

فسألته بغضب: «اتعتقد ان اخباري لاحزم حقائبي واذهب اقل ازعاجاً؟» ونهضت من الفراش. امسكت روبها وارتدته.

اجابها بتوتر: «ما كنت افعل في تجنبه هو هذا النوع من الجدال العقيم.»

وردت بصوت يحمل نبرة من السخرية: «عقيم؟ انا اعتقد انه مهم جداً. كيف لي ان اثق بك فيما انت تعاملني هكذا؟ ما الذي لا تريد ان تخبرني به عن هذه العقدة الصغيرة؟»

بدت نظرات بيرس هادئة فيما هو يقول باصرار ثابت: «اخبرتك كل ما انت بحاجة لمعرفته.» الا ان ذلك زاد من اتقاد غضبها.

فصرخت قائلة: «اخبرتني كل ما تريدني ان اعرف، وهذا امر مختلف كلياً! ماذا ستفعل عندما ابتعد من الطريق بشكل ملائم؟»

بدا واضحاً ان سخريتها لم تعجبه فقال بحدة: «لدي رحلة خاصة بي علي ان اقوم بها. انها رحلة عمل، ولا اريدك ان تكوني برفقتي.»

www.liilas.com

قالت مستنتجة: «مما يعني انها خطرة، مهما كانت.»

اجابها بفظاظة: «عبور الشارع خطر، ان لم تنتبهي لما تقومين به.» مما زاد من خوفها، ولم يخففه على الاطلاق.

كان موقفه من «زوجته الصغيرة» يزيدها غضباً ويجرحها ايضاً، انها تستحق افضل من هذا منه. سارت نحوه وامسكت بطيات ياقة روبه وصرخت قائلة: «توقف عن معاملتي وكأني طفل مجنون، يا بيرس. اخبرني إلى اين انت ذاهب.»

مدّ يديه ليمسك بشدة على يديها، الا انه لم يقم باية حركة ليبعدها. واجابها: «اخباري لك بذلك لن يشكل اي فارق.»

جالت عيناها في عينيه فلم تجد سوى جدار مربكاً من الغضب، ومع ذلك عندما يصل الأمر إلى تشبث كل منهما برأيه فان لها حصة جيدة في ذلك ايضاً، فقالت: «حسناً، لا تخبرني، لكني زوجتك، يا بيرس مارتينو، ولقد عبرت الشوارع بأمان لسنوات. اني ذاهبة معك حيثما انت ذاهب.»

وبدا الجو في غضون لحظة بينهما مشحوناً بالتوتر بكل في الكلمة من معنى. وتحطم الجدار ليظهر غضباً جامحاً وضغط بيديه بقوة على معصميها قائلاً: «انك كذلك تماماً، لكنك لن ترافقيني إلى أي مكان.»

رفعت أليكس رأسها بتحد وقالت: «حاول ان تمنعني.»

استطاع بيرس بشكل واضح ان يسيطر على غضبه وبدا في عينيه بريق ساخر حين قال: «ما هذا؟ منذ اسابيع وكنت تحاولين الهروب مني. اما الآن فانت تتشبثين بي. ماذا حدث؟»

كانت كلماته الساخرة، التي كرهتها، وكأنها صفعة على

الوجه الا انها رفضت التراجع، وقد ادركت انه فعل ذلك عن تعمد ليثير غضبها وتوافق على الرحيل. لذا نكزته برقة: «ما حدث هو ليلة الأمس، او انك نسيت؟»

تنهد بصوت عالٍ عند سماعه كلماتها تلك، وبدت تقاسيم وجهه عميقة ومتجهمة. قال بالقتضاب: «مناورة فاشلة، يا أليكس.»

قالت بتحد: «انت من بدأ هذا بناء على اوامرك! حسناً. انا لن انفذ الأوامر دون سبب منطقي. الزواج مشاركة وانا لست ضعيفة، استطيع تحمل الحقيقة، اني استحق ذلك. سأذهب معك لأنك لم تعطني سبباً واحداً يمنعني من ذلك!»

ترك يديها وامسك بكتفيها، ثم هزها قائلاً: «اصغي، ايتها الحمقاء الصغيرة، الخطر الوحيد هو ان يؤذيني منك لا يصحح الخطأ!»

قالت تنصحه باختصار: «اذاً، توقف عن الجدل.»

تراجع مبتعداً عنها وقال: «لا وقت عندي لهذا. لن ترافقيني وهذا قرار نهائي.»

غمرها مزيج متساوٍ من الغضب والألم فقد اصبحت القضية الآن قضية مبدأ، فإما ان يكون زواجهما مكتمل من كل النواحي او لا يكون هناك زواج بينهما... لا يمكنه ان يأمرها هكذا دون اي تفسير، وإن كان يتوقع منها ان تثق به، فلها الحق إذاً ان تعرف الحقيقة. ولكن، ألا يستطيع ان يرى ايضاً كم هي قلقة؟ وكان كلما ازداد كتمانه يجعل قلقها يزداد! إن هناك خطب ما وهي تريد ان تساعد. انها تحبه، ولن توافق على الجلوس جانباً بهدوء وتدعه يسير إلى فم الأسد لوحده!

www.liilas.com

كان اختلاط حبها وخوفها هما اللذان دفعاها لقول جملتها التالية، إذ قالت: «ارغمني على المغادرة دون سبب معقول يا بيرس، وسوف لن تراني بعد ذلك.» كانت كلمات التحدي هذه صدمة لأليكس عندما خرجت من بين شفتيها كما كانت بالنسبة لبيرس، الذي تجمد وكأنه تمثال.

سألها بصوت عنب: «أتهددينني، يا أليكس؟»

شحب لون وجهها كورقة بيضاء، لكن لم يكن هناك مجال للتراجع عما قالته، رغم انها ندمت على الفور. عرفت انها لم تكن تلك الطريقة الصحيحة التي يجب ان تتبعها، لكنها ارادت منه ان يكلمها، لا ان ينطوي على نفسه اما الآن وقد بدأت فعليها المتابعة. فقالت: «لن اوافق على ان استبعد.»

«ولنا ارفض ان اخضع لتهديدات.»

ازدردت ريقها بصعوبة وقالت: «اذاً فإنها ورطة. أليست كذلك؟»

ابتسم بيرس ابتسامة مقززة واجابها: «ليس تماماً، فما زال عليك ان تحزمي امتعتك، لن تجدي صعوبة في ان تستقلي طائرة من البر الرئيسي إلى انكلترا.»

لم تصدق انه كان يدعوها لتنفيذ تهديدها فقالت بصوت اجش: «اذاً لقد انتهى الأمر، هكذا؟»

«انه قرارك، يا أليكس.»

حدقت به وقلبها يخفق بقوة لدرجة انها كانت متأكدة من انه يستطيع سماعه. اين ذهبت كل وعود الليل؟ كيف توصلا إلى هذا بسرعة كبيرة؟ شعرت بالغثيان، وتمنت بيأس لو انها تستطيع التراجع، لكنها وجدت ان الكلمات تكاد تخنقها

قالت: «لا، انه قرارك. ما كان يجب ان تصل الأمور إلى هذا.»

«لقد وصلت.»

احرقت دموع حارة عينيها، إلا انها لم تدع اية دمعة تنهمر، وقالت له: «إذاً فالليلة الماضية لا تعني لك شيئاً؟»

ومض شيء في عينيه للحظة واجابها: «على العكس، يمكنك ان تسميها وداعاً رائعاً. والآن، إن لم يكن لديك ما تضيفينه فمن الأفضل ان اذهب واري من وصل.» ودون ان يضيف اية كلمة اخرى، استدار وسار مبتعداً.

وقفت تحدق في الباب المقفل وهي مصدومة. لم تستطع التصديق بأنه وافق على ان تنفذ انذارها. لا بد انه عرف بالتأكيد انها لم تكن جادة في ما قالته، وإن ذلك كان زلّة لسان. سارت على ساقين مثلكتين إلى السرير، حيث جلست بامتنان. لم تعرف كيف حدث كل ذلك بهذه السرعة، فبعد ان كانت حصرة على مرافقته، انتهى الزواج فجأة واصبحت هي في طريق العودة إلى الوطن!

كان الأمر وكأنه كابوس فقد بدا كل شيء مشوشاً. اعتقدت الليلة الماضية انها الخير أ فهمته، ثم حدث كل هذا. لماذا رفض بعناد ان يخبرها إلى اين هو ذاهب ولماذا؟ وبسرعة حل الغضب مكان الصدمة فيما كانت تمعن التفكير بما حدث خلال الدقائق القليلة الماضية. لا ولن ترحل، ليس قبل ان تحصل على تفسير مقنع. قال الليلة الماضية انه لن يدعها ترحل والآن اخبرها بهدوء ان عليها الرحيل؟ ذلك ليس منطقياً.

لكن ذلك بدا منطقياً بالطبع، حالما فكرت بالنقيض، فتنهدت عالياً، وادركت انه استغل ببراعة غضبها ضدها،

www.liilas.com

وكانت على وشك ان تدعه يفوز، تلك المعرفة منحت نفسيتها المحطمة عزماً جديداً.

ونهضت لتسير نحو غرفة الملابس لتأخذ بعض الثياب وتتجه نحو غرفة الحمام. استحمت وارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً. ولم تزعج نفسها باكثر من تمرير الفرشاة على شعرها، لم تكن تتحمل الوقت الحاضر. لأن مهما كان قد قاله بيرس فانها مصممة على البقاء حيث هي. ورغم ذلك حزمت الحقيبة وتركتها على السرير مع حقيبة يدها فقد تحتاجها لكن ليس للذهاب إلى انكلترا.

وهكذا دخلت إلى الردهة، بعد اقل من عشر دقائق، مستعدة للقيام بمعركة، لتجد ان بيرس قد وجد بطريقة ما متسعاً من الوقت ليرتدي ملابسه هو ايضاً وقد كان غارقاً الآن في محادثة مع رجل طويل أملس الشعر. استدارا كلاهما عند دخولها، وكانت ملامح وجه زوجها متجهمة فيما دعاها للدخول.

وعرفهما ببعض بصوت بارد قائلاً: «أليكس، هذا بات دانتنغ، انه مساعدي الخاص.»

قال بات دانتنغ بلهجة تكساسية ودودة: «يسعدني لقائك اخيراً، يا سيدة مارتينو.» وصافحها فيما بدت ابتسامته متوترة نوعاً ما، اذ اضاف: «يؤسفني ان علي ابعادك عن زوجك.»

قابلت ابتسامته بابتسامة لاذعة وقالت: «لا باس، لأني لست ذاهبة على أية حال.»

تنفس بيرس بنفاد صبر إلى جانبها وقال بتوتر: «اعتقدت اننا قد سوينا هذا الأمر.»

رفعت أليكس كتفيها بلا مبالاة، رغم ان ذلك تطلب منها جهداً كبيراً لتبدو غير آبهة وقالت: «كنت لكذب وانت تعرف ذلك.»

والتقت عيونهما في معركة صامتة، دون ان يحاول أياً منهما ابعاد نظره. شد بيرس على فكه، ثم اجابها: «لم لكن اعرف.» لكنها رفعت ذقنها بكل بساطة فحذرها قائلاً ببرودة: «ما بك يا أليكس، لا ترغميني على القيام بأشياء اندم عليها!»

بدت تعابير العناد على ملامحها كما قد يتوقعه تماماً، وقالت: «لا اصدق انك ندمت على شيء في حياتك! وانا ارفض ان ارحل قبل ان تشرح لي لماذا علي القيام بذلك.»

ارتعش ذلك العضب في فكه من جديد، وصاح قائلاً: «لماذا تحاولين يا أليكس؟ لانني حصلت على كل ما اريده منك، والآن يمكنك الرحيل. حسناً. ان كان ذلك ما يتطلبه الأمر، اعتبري انني قلت ذلك!»

شعرت بدمائها تغلي غضباً لقساوة تلك الكلمات التي تعمد قولها، ربما كانت لتصدقه قبل خمس سنوات، لكن مع تبصرها رأت ان شيئاً ما جعل توتراً غريباً يملأ نفسه، الأمر الذي جعلها ترفع ذقنها مرة اخرى وتجيبه برقة: «انني لا اصدقك، والطريقة الوحيدة التي يمكنك اخراجي بها من هذه الجزيرة هي ان تجعلني افقد الوعي.»

مما جعل بيرس يسترسل في السباب لمدة طويلة وبشكل قاس.

قاطعه بات دانتنغ، إذ قال: «تأخر الوقت يا سيدي.»

جعل ذلك التعليق أليكس تدير رأسها نحوه وفي الجزء

www.liilas.com

التالي من الدقيقة سمعت بيرس يتمتم: «آه، يا للهول!» فاستدارت لتلتقي قبضة يده القوية. اسودت الدنيا في عينيها وغابت عن الوعي على الفور.

امسكها بيرس قبل ان تسقط وقد بدت شاحبة الآن كما كانت من قبل وقال: «انها بخير، لقد تهاوتت في تسديد ضربتي. احضر حقائبها من غرفة النوم، انها هناك. هلا فعلت، بينما اضعها في الطائرة المروحية؟» ثم حملها إلى الخارج وقد علت وجهه تعابير التجهم. وضعها داخل الطائرة ومرّر يده بلطف على البقعة الداكنة على ذقنها وتمتم: «أنا آسف يا أليكس. ايجب ان تقاطعيني دائماً؟» ثم استدار عندما جاء بات دانتغ ليصعد إلى الطائرة.

نظر بتساؤل إلى مستخدمه وسأله: «متأكد انك تريد ان تجري الأمور بهذه الطريقة، يا سيدي؟»

فأجابه: «اخرجها من هنا فقط. هلا فعلت يا بات؟ وتأكد انها بمأمن.»

اشار بات إلى الطيار، ثم قال بصوت عال ليسمع رغم ضجيج صوت المحرك الذي ادير: «سافعل ذلك، لكنني بالتأكيد ما كنت لارغب في ان اكون مكانك حين تعود افهمت ما اعنيه يا سيدي.»

الفصل العاشر

استعادت أليكس وعيها وهي تئن. كان فكها يؤلمها جداً وبدا رأسها يصرع بشكل لا يحتمل.

«هل انت بخير يا سيدتي؟»

جعلها السؤال الذي انطلق ممن إلى جانبها ترفع رأسها وتديره، وادركت ان الاحساس بالصرع كان نتيجة إلى انها على متن طائرة مروحية. ثم تذكرت كل شيء، بالطبع، رفضها الرحيل، تحذير بيرس والاهانة الأخيرة ألا وهي الطريقة التي ضربها بها.

تطوت حولها فيما اصرخت صرخة زادت من ألم فكها. ان الطيار جالس أمامها وكان إلى جانبها يتكأ شخص ضخم أشقر الشعر. وكانت تستطيع رؤية الجزيرة والمياه المتلألئة تحيط بها من خلال النافذة. واستطاعت رؤية نقطة صغيرة. كان ذلك بيرس ينظر اليهم فيما هم يغادرون. وعلى الفور مدت يديها إلى الحزام الذي كان يشدها إلى مقعدها، محاولة خلعه بكل قوتها لتتحرر، سوف تقفز وتعود سباحة! سوف...

وامسكت يدان قويتان بيديها بصرامة لتضع حداً لحركاتها. ثم ردد صاحبهما قائلاً: «رويدك يا سيدتي. ان بيرس يريدك على قيد الحياة، لا ان ترمي بنفسك من طائرة مروحية في الجو وتقتلين!»

استدارت أليكس بغضب ونظرت إلى حارسها بعينين

www.liilas.com

لامعتين لتسأله: «من أنت؟» ثم جفلت ورفعت احدى يديها لتتحسس فكها.

صفّر الرجل الضخم بهدوء وقال بعطف: «بات دانتغ، لقد تقابلنا من قبل. أخشى ان كدمة بحجم بيضة الدجاجة ستظهر على وجهك.»

قالت: «ضربني!» كانت لهجتها تلك مزيجاً من الغضب وعدم التصديق.

أجابها: «اعتبر انها الطريقة الوحيدة الذي يمكنه القيام بها، اتصور انها كانت غلطة كبيرة، لكنه يعرفك أكثر مني.»

فقالت أليكس بغضب: «سوف اقتله!» محاولة التفكير. إلا انها لم تنجح بذلك كثيراً. كان التصرف على نحو يدعوه للقيام بذلك شيء، لكن ان يشرع بذلك الاختيار شيء آخر!

أجابها بات دانتغ موافقاً بايجاز: «تصورت انك قد تريدين القيام بذلك.»

حث ذلك أليكس حتى وهي في أوج غضبها على الضحك إلا انها صرت على اسنانها، وبدلاً من ذلك أمرته قائلة: «أعدني إلى الجزيرة.»

رفض ذلك بطريقته الودودة قائلاً: «لا أستطيع القيام بذلك يا سيدتي. فلدي أوامر.» فنظرت إليه نظرة حادة.

سألته: «إلى أين هو ذاهب؟» وقد قررت ان تستقل رحلة إلى هناك بطريقة أو بأخرى.

رغم حزنه لحالتها هز بات دانتغ رأسه قائلاً: «آسف، لا أستطيع اخبارك بذلك.»

تحولت نظرتها إلى نظرة ساخرة حين قالت: «هل هناك شيء يمكنك ان تخبرني به؟»

فكر قليلاً ثم أجابها: «لا أتصور ذلك.»

جعلت تلك الكلمات شفتيها تلتويان بسخرية وسألته: «انك تتصور كثيراً، أليس كذلك؟ أنهذا السبب استخدمك بيرس؟»

أجابها موافقاً: «اعتقد ذلك.»

قالت له: «لذلك ولخطف النساء، للتحديد أكثر.»

استدار بات دانتغ نحوها متجهماً عند سماعه تلك الملاحظة وقال: «عليك توخي الحذر يا سيدتي، فقول أشياء كهذه قد تدخل الانسان في مشاكل كثيرة وعصيبة.»

وجدت أليكس وقد هدأت الآن، انها بدأت تستطيع السيطرة على هذا الرجل، فقالت تقايضه: «تماماً. لذا هل ستخبرني الآن إلى أين بيرس ذاهب؟»

نظر إليها نظرة فيها الكثير من الاحترام، ثم قال بذهن متكبر: «لا. انك تلعبين لعبة وضيعة يا سيدتي... الحقيقة ان بيرس لن يذهب إلى أي مكان.»

لم تكن تتوقع ذلك، فسألته: «ماذا تعني؟ ماذا عن شركة المنشآت؟»

ابتسم لها بات ابتسامة فيها مزيج من الألم والسخرية وقال: «آه، ان الشركة تبني سداً في احدى المقاطعات الصغيرة في وسط اميركا، لكن لا علاقة لذلك بهذا الأمر. إن أحد المجانين الحاقدين أطلق النار على شقيقه في ايطاليا أمس الأول. إلا انها أخطأته. لكن ذلك المجنون اختفى. واننا نعتقد انه في طريقه إلى بيرس ليحاول قتله. تقضي الخطة بأن يبقى بيرس ملازماً مكانه لا يبرحه وسوف تلقي الشرطة القبض عليه خلال تحركاته.» نظر إليها نظرة رزينة عندما سمع تنهيدتها وتابع: «تصورت ان لك الحق بأن تعرفي يا سيدتي.»

www.liilas.com

ازدردت أليكس دفعة من الغثيان المفاجيء عندما فكرت ببيرس وبقائه في منطقة الخطر. انه مشدود إلى وتد وكأنه حيوان بانتظار ان يقتل! صرخت من حنجرة جافة قائلة: «لماذا لم يخبرني؟»

أضاف بات: «قال انه لا يريدك ان تقلقي.»

قالت فجاة وبقوة: «ان لا أقلق؟» كيف أمكنه التفكير ان قلقها سيكون أقل ان لم تعرف الحقيقة؟ أهو مجنون؟ ثم أضافت: «كان عليه ان يخبرني!»

أجابها: «اعتقد كان عليه ان يفعل ذلك. اخبرته بذلك لكنه لم يصغ إلي. قال انك ستصرين على البقاء وهو كان يريدك ان تكوني بمأمن خارج الجزيرة.»

«آه، يا للمسيح!» وكان على أليكس ان تعترف بأن بيرس كان محقاً. فلو أخبرها لكانت رفضت الرحيل. لكن ذلك لم يغير الواقع بانه كان عليه أن يخبرها الحقيقة.

قال لها بات: «لا تكوني قاسية عليه كثيراً يا سيدتي. فان بيرس المسكين لا يمكنه اطلاقاً التفكير بشكل سوي عندما يتعلق الأمر بك.» وضغط على يدها وكأنه عمها، بالرغم من انه كان بعمر بيرس تقريباً.

تجهمت أليكس وابعدت نظرها عن النافذة والجزيرة التي كانت تبدو أصغر وأصغر بسرعة كلما ابتعدوا لتسأله: «ماذا تعني؟»

رفع كتفيه بلا مبالاة ثم قال: «من أين أبدأ؟ خذي مثلاً ذلك العمل الذي يتعلق بأسطول السفن التجارية. اخبرناه جميعاً ان بامكانه الحصول عليه بعشر ثمنه، لكن هل أصغى إلينا؟ لا، لا. دفع الثمن كاملاً وكان الاسطول يعمل، ثم دفع كميات

مماثلة من المال ليجعله في حالة جيدة. مجنون لكنه ما كان ليستمع لأي جدال.»

لم تعرف أليكس أكان ما تسمعه حقيقة أم حلم، فسألته: «أتتكلم عن اسطول سفن بتراكوس التجارية؟» وعندما أومأ برأسه تابعت بتكلف: «لكنه حصل عليه دون أي مقابل.» وفكرت بحزن، اني أعرف ذلك لقد كنت هناك! لن تنسى ذلك أبداً، لقد كان ذلك محفوراً بشكل لا يمحى في ذاكرتها.

صحح لها معلوماتها قائلاً: «أكره ان أتجادل مع سيدة، لكنك مخطئة يا سيدتي. لقد ساعدت في اعداد الأوراق اللازمة وشهدت على فاتورة البيع.»

غرقت أليكس في صمت، كل ما اعتقدت انها فهمته وجدته فجاة مغموراً بأمكانات عظيم. لقد اشترى بيرس السفن، ثم عاد واشترها مجدداً! لكن لماذا؟ لماذا، مجدداً؟ كان قد حصل عليها دون أي مقابل! لم يبد الأمر منطقياً لكنها فهمت الآن لماذا قال انه قد دفع ثمناً باهظاً لأسطول السفن. وقد كان ذلك السعر باهظاً جداً بالتاكيد بالنسبة إلى بات دانتغ.

لم يخبرها جدها بذلك قط، فكرت بألم. كان يعرف كيف ان استغلالها قد ألمها ورغم ذلك لم تعرف إلا الآن انه كان يهتم لماله أكثر من اهتمامه باحساسها. طوال هذه السنوات كانت تعتقد ان بيرس قايضها، وقد تركها جدها تعتقد ذلك لأنه لم يكن يحتمل فكرة ان تغرم بشخص من عائلة اندرياس!

تمتمت بصوت أجش: «شكراً لأنك اخبرتني ذلك يا بات.»

أجابها: «أتمنى فقط ان يكون لذلك فائدة، لأني أكره ان أرى بيرس يتألم كما كان من قبل. جعلنا جميعاً نقلق عليه،

www.liilas.com

فقد كان يعمل وكأنه شخص يائس حتى أصبح نحيلاً جداً. وكل ما قاله هو انك غادرت بسببه وهذه هي الطريقة الوحيدة لتسوية الأمر. اعتقدت أنا أيضاً، ان الأمر قد نجح عندما اخبرني أخيراً انه سيتزوجك. إلا انني لن ادهش مع ذلك ان كان لا يفكر بأنه ربما يضيع الفرصة مرة ثانية.»

«لماذا قد يفكر بذلك؟»

أجابها: «يبدو لي ان الأمر يتطلب امرأة مميزة لتسامح رجلاً ضربها ببرودة.» ونظر اليها نظرة متفحصة، وقد رفع حاجبيه.

لم تستطع أليكس ان تضحك. لا، ليس وبيرس على الجزيرة ينتظر رجلاً مجنوناً ليظهر ويطلق عليه النار! سألته بصوت مرتعش: «كيف استطيع ان أسامحه ان مات؟»

أجابها: «لا تستبقي الأمور يا سيدتي. بيرس لن يدعه يقتله. سوف تحظين بالفرصة لتقطيبه.»

وجدت أليكس نفسها تضغط على يده بقوة، وقالت متضرعة: «ليكن الحظ إلى جانبه.»

فقال: «أرجو ذلك.»

ونظرت من النافذة مرة أخرى، لكن لم يكن هناك شيء لتراه الآن. انقبض قلبها من الخوف، وسألت: «ماذا سافعل؟»

أجابها بات: «أفضل شيء يمكنك القيام به هو ما يريده بيرس. انه لا يحتاج لأن يقلق عليك أيضاً. اذهبي إلى انكلترا، وانتظري هناك.»

ازدردت أليكس ريقها بصعوبة. أتنتظر؟ ماذا بوسعها ان تفعل سوى الانتظار والتضرع؟

بعد مرور أربع وعشرين ساعة، كانت أليكس تتجه إلى

النافذة مرة أخرى، في الشقة التي تعلو مكتب بيرس في مبنى مارتينو. لم تذهب إلى انكلترا، على عكس التوقعات. لقد أوصلها بات دانتغ إلى المطار بالفعل، لكنه كان مضطراً للعودة ثانية. لذا ما عرف قط، انها بدلت بطاقة السفر التي اعطاها لها مقابل مقعد على طائرة متجهة إلى نيويورك.

لم تخبره لأنها لم تكن مستعدة لمناقشة ذلك معه، وكان كل ما فكرت به أن أية أخبار عن بيرس ستصل إلى المكتب الرئيسي أولاً، وذلك المبنى كان في نيويورك. كانت خطتها الأولية تقضي بأن تستعمل شقة بيرس، رغم الذكريات المؤلمة التي تحملها لها. وتتصل بمكتبه من هناك، لكن تبين ان الشقة خالية من أي أثاث، وانها كذلك منذ وقت طويل، حسب ما اخبرها به الجيران. أصبحت وكانت على وشك التوجه للنزول في فندق عندما تذكرت كلام بيرس عن وجود شقة له فوق المكتب في مبنى مارتينو. كان الوقت متأخراً عندما وصلت لكن حارس الأمن كان سعيداً جداً بأن يدعها تدخل عندما عرف من هي.

ثم بدأ الانتظار. كانت الرحلة إلى هنا مليئة بالتوتر، لكنها على الأقل كانت تفعل شيئاً، أما الآن فكل ما تستطيع القيام به هو الجلوس وتضييع الوقت سدى. لم يكن هناك من تستطيع التحدث معه دون أن تنشر الذعر، وادركت بفطرتها ان الشائعات قد تنتشر بسرعة. وكان كل ما استطاعت ان تفعله هو الاتصال بسكرتيرته ملفقة رواية بأنها هنا في رحلة تبضع، وطلبت منها ان تقول لبيرس ان يتصل بالشقة ان اتصل بها، لكن الهاتف لم يرن طوال اليوم،

www.liilas.com

ووجدت نفسها الآن تسقط في دوامة القلق المزعج التي تهدد أحياناً بأن تبتلعها.

أين هو؟ كيف حاله؟

الآن في الوقت الذي شعرت انها بحاجة لتراه، لتسمع صوته كان الصمت مروعاً. لم يكن يهمها ان لم تسمعه اطلاقاً ليشرح ما أخبرها به بات دانتغ، وان لم تسمعه يقول ما كانت قد بدأت بصدق تعتقد انه شعر به حيالها، كانت تريد ان تعرف فقط بأنه على قيد الحياة.

أين أصبحا من ذلك؟ لم تكن تعرف. كان هناك الكثير لشرحه ولم تجرؤ على التفكير بالمستحيل. لقد خاضت ذلك المضمار مرة، وانتهى بالرفض مع ان ذلك أيضاً كان يحتاج للتفسير. لماذا فعل ذلك؟ لماذا فعل كل الأشياء التي فعلها؟ بدأت بها لن لديها مليون سؤال وليس هناك من زوج حاضر ليمدها بالأجوبة.

سحبت بحركة متوترة الخيط الذي يقفل الستائر، فرقرت معدتها، فلاحظت حينها انها لم تتناول شيئاً منذ الفطور. لم تكن تشعر برغبة لتناول الطعام أكثر مما تفعل الآن، إلا انها ادركت بفطرتها انه سيكون من الحماقة ان تترك نفسها تمرض الآن، لذا اتجهت إلى المطبخ وسوّت لنفسها سندويشاً وبعض القهوة. حاولت ان تأكلها فيما هي تشاهد التلفاز، لكن ذلك كان سخيفاً جداً بالنسبة لها لتتمكن من التركيز عليه، فاستسلمت في آخر الأمر.

ورغم انها تشاءمت إلا ان أليكس عرفت انها لن تستطيع النوم لشدة قلقها، خاصة في ذلك السرير الكبير المصمم لاثنين والذي بدا فقط وكأنه يؤكد وحدتها. تحاشت النظر إليه وذهبت لتأخذ دوشاً، ثم لفت نفسها في ما بعد بروب حريري يصل حتى كاحليها قبل ان تتجه عائدة إلى غرفة الجلوس. كان هناك فيلماً قديماً على التلفاز فاطفأته، وأخذت تنظر فيما كانت الظلمة تسود من حولها، وقد جلست في احدى زوايا الأريكة. شيئاً فشيئاً رغم ان الانهاك التام جعل أهدابها ثقيلة، ودون ان تلاحظ ذلك غطت في نوم خفيف.

وجعلها لمعان الضوء على أهدابها تتحرك بعد عدة ساعات. فنظرت بعينين شبه مغمضتين، ثم طرفت عينيها مستيقظة لتحدق بالشخص الطويل الذي وقف عند الباب وكأنه شبح.

«أليكس؟» كان اسمها صرخة لا تصدق على شفتي بيرس، فاستوت في جلستها وقد استيقظت جيداً فجأة، بدا منهكاً وقد نبت لحيته بشكل كثيف على ذقنه، وكانت ملابسه وكأنه نام فيها لعدة أيام، لكن، لم تره جميلاً لهذه الدرجة من قبل.

سألها بصوت أجش: «ماذا تفعلين هنا؟»

تضاعفت خفقات قلب أليكس عند رؤيته، كانت على وشك ان تركض اليه وترمي بنفسها بين ذراعيه، لكن كان هناك شيء ما في الطريقة التي وقف بها جعلها تتسمر في مكانها. وأجابته شارحة بشكل تافه: «ذهبت إلى الشقة، لكنها كانت خالية. فتذكرت انك ذكرت أمامي هذه الشقة، وقد سمح لي حارس الأمن بالدخول.»

رأت بيرس عبر الغرفة يهز رأسه كمن أصيب بدوار. قال لها بصوت غريب: «لقد تركتها.» حتى فيما كانت عيناه تنظران بانشداه، وكأنه لم يكن يتوقع قط ان يراها ثانية.

www.liilas.com

تملك أليكس شعور غريب جداً بأنها كانت تنظر إلى شخصين يمثلان مشهداً من مسرحية، ينطقان بكلمات بعيدة جداً عما يشعران به حقاً. سألته: «لماذا؟»

أجابها بيرس: «لم استطع العيش فيها بعد ان رحلت. لم استطع العيش مع ذكرى ما حدث هناك.» ثم ارتعش رعشة كبيرة وكأنه استيقظ من حلم مزعج، واسقط الحقيبة التي كان ما يزال يحملها، ودفع الباب ليقفله ثم تقدم خطوة إلى الأمام. وأعاد السؤال بنبرة حادة قائلاً: «أليكس، ماذا تفعلين هنا؟» مما جعلها تجفل.

وبجهد وقفت على قدميها، وسوت قماش روبها الحريري بيدين مرتعشتين. لم يكن ما يجري كما توقعت. أجابته: «لقد أخبرتك لم استطع استعمال الشق...»

وتوقفت عن الكلام عندما قطع المسافة التي تفصل بينهما بثلاث خطوات واسعة بكتفيها ومزمجا قائلاً: «ليس هنا انما في لميركا. كان من المفترض ان تكوني في انكلترا.»

طرفت عينيها عندما تنبهت إلى نبرة الغضب البائس في صوته فتنحنحت بعصبية وقالت له بسرعة: «أعرف، لكن المسافة كانت بعيدة جداً! أتيت إلى هنا لأني اعتقدت ان أية اخبار عنك قد تصل إلى هنا أولاً. كنت بحاجة لأعرف انك بخير.» وقد دهشت عندما رأت وجهه يمتقع.

تركها عند ذلك، ومرر يديه على وجهه بايماءة متعبة جعلت قلبها يعتصر. وأنت ضحكة السخرية من نفسه بشكل مؤلم. قال: «هل عندك أية فكرة بما شعرته عندما وصلت إلى انكلترا ولم أجدك هناك؟ عندما علمت ان ما من احد

يعرف أين أنت؟ كنت وكأني عدت إلى دوامة الماضي ثانية ولم أتصور انني استطيع تحمّل ذلك. وطوال تلك الفترة كنت أنت هنا، تنتظرين أخباراً مني!»

ذهلت أليكس للنظرة الشاحبة التي ظهرت على وجهه عندما ذكر الماضي. وقالت بارتباك: «أنا... لم أكن أعرف.»

كان جوابها رقيقاً، لكنها كانت تشك بأنه كان ليسمعها حتى لو صرخت، لأنه كان غارقاً في مكان ما خاص به بعيداً عن الذكريات الجميلة، إذ قال: «عرفت انني قد أضيع فرصتي في عودتك الي ثانية، عودتك الي فعلاً. عندما اضطررت لأن أضربك، لكن كان علي ان أحاول ثانية على أية حال.» وضحك ضحكة ساخطة، وتابع قائلاً: «عندما لم أجدك هناك، كنت أجن تقريباً. ونظر إليها الآن فرآها فعلاً، وكانت تنظر إليه بنظرة مصدومة، فاضاف بصوت خال كلياً بايقاظ النائمين: «ما بك يا أليكس، متى ستدركين انني أحبك؟»

مرت لحظة بدت فيها ان الغرفة تسبح منذرة بالخطر، إلا انها تمالكت نفسها وقد عرفت ان هذا الوقت لم يكن بالتأكيد الوقت المناسب ليغمى عليها. قالت بصوت أجش: «عندما تخبرني...» ثم شعرت بالغضب، فصرخت قائلة: «ويحك يا بيرس. لم أكن أعلم شيئاً. اني بحاجة لمن يُخبرني بكل شيء.»

وقال: «لقد فعلت للتو.»

«سمعتك.»

سألها: «وماذا؟»

www.liilas.com

عرفت ماذا يريد ان يسمع، لكن الكلمات ترددت على شفتيها. كانت خائفة من الاعتراف بمشاعرها، ان تورط نفسها في حين انها قد جرحت من قبل. وفيما طال صمتها، ابتعد عنها ليسير ويقف أمام جهاز التلفاز الصامت.

قال بتحد وافر: «لقد فقدت الحق بسماعك تقولين انك تحبينني منذ وقت طويل. أليس كذلك؟ ان الحظ كان يبتسم لي عندما وضعتك الأقدار في طريقي لأحبك!»

نبرة الغضب واليأس المريرة في صوته مزقت قلبها فصرخت بحزن قائلة: «لا، يا بيرس!» ثم تنهدت عندما استدار ورأت وجهه الشاحب جداً.

سألها: «لا، ماذا؟ لا أكره نفسي؟ لكن على من أضع اللوم يا أليكس؟ من سواي جرحك؟ من سواي اغمد السكين في صدرك وقتل الفضل ما قد حدث له؟ كنت مذنباً واستحق كل ما أصابني من عقاب. أحببتك عندما تزوجتك. أحببتك حتى عندما كنت أحطمك، وأحببتك كل يوم منذ ذلك الحين، وسأحبك حتى يوم مماتي.»

لم تكن أليكس تعرف انها تبكي، لكن الدموع كانت تنهمر على وجنتيها فيما كانت تهز رأسها بيأس، وسألته: «إذاً لماذا؟»

لم تكن بحاجة لأن تقول المزيد. فقد اغمض بيرس عينيه بالم، ثم تقدم نحوها وضمها بين ذراعيه، أحاط رأسها بيدين مرتعشتين واعترف بصوت أجش قائلاً: «لأني التقيتك في وقت متأخر جداً.» وتنهد تنهيدة حملت التعب الذي قاساه خلال السنوات الطويلة الماضية، وأضاف: «جعلني جدي اتعهد له وهو على فراش

الموت اني سأثار من يانيس بتراكوس وباني سأستعيد سفننا بأية وسيلة كانت، تعهدت له بذلك يا أليكس، قبل وقت طويل من معرفتي بوجودك. لا أستطيع ان أبرر ما فعلته، لكن عندما علمت بوجود حفيدة، وكنت قد فشلت في شراء السفن بالطرق القانونية، قررت ان استغلها لاستعادة السفن بواسطة الابتزاز. الاخلاص كان يتطلب ذلك. حاولي ان تفهمي. كنت أعرف انه ان كان هناك شيئاً يكرهه بتراكوس فهو معرفته ان حفيدته قد تزوجت فرداً من عائلتي. كنت أعرف انه قد يعطي أي شيء ليضع حداً لذلك، عندها سيكون الثمن الذي أطلبه اسطول السفن التجارية. كان عملاً وحشياً لكنه سهل... لكني لم أكن قد التقيتك بعد... وعندما التقيتك وقعت في حبك من أول نظرة. كنت فاتنة جداً، بريئة جداً ومع ذلك كريمة، كل ما كنت أتمناه في وجوده في المرأة التي أحبها، وكنت أتعذب كنت مستعداً لأن أعطي كل ما أملكه لتغيير الأمور. لكني لم أستطع. كنت قد قطعت عهداً لجدي، رغم اني عانيت عذاباً مريراً في تنفيذه، إلا اني استمريت في تنفيذ الخطة. وكل ما استطعت القيام به لك هو القيام بكل ما يجعلك تكرهينني، تكرهينني لدرجة انك ستلومني نفسك ان سمحت لي بالتأثير على حياتك منذ ذلك اليوم وصاعداً. قلت انني قتلت شيئاً طيباً فيك ذلك اليوم، حسناً، شيء ما قد مات داخل نفسي أنا أيضاً. لم يكن عندي أمل باستعادة ما قد حطمته، ومع ذلك لم استطع تركك تضيعين مني. فوعدت نفسي باني سأراقبك، وأساعدك ان احتجت للمساعدة يوماً وربما فزت يوماً بالحق في الحصول على حبك ثانية.»

www.liilas.com

وفيما كانت أليكس تصغي إليه اتضح لها الكثير من الأمور، إذاً لقد كان يتعذب مثلها تماماً ان صدقت ما يقوله، وكيف بامكانها أن لا تفعل بعد هذا الاعتراف الصادر من القلب؟ لم يكن ذلك تبريراً انما واقعاً، لقد تقبل العلامة وعايشها يومياً، لكن المعرفة لا يمكنها ان تهزم الأمل تماماً. الا تعرف تماماً ماهية ذلك الشعور؟ فرفعت رأسها أخيراً ونظرت بتمعن في عينيه الزرقاوين.

وسألته: «الهذا تزوجتني؟»

أومأ برأسه ايجاباً وأضاف بكآبة: «ولهذا اعطيك حريتك ان اردتها.»

وجاء الآن دور أليكس بالكلام، فيما دموع عينيها تنهمر، فقالت: «لا بد انك أحببت جدك كثيراً.»

ترددبيرس قليلاً قبل أن يقول: «أجل، لكن ليس بالطريقة نفسها التي أحببتك بها. ماذا يمكنني أن أقول؟ عرفته قبل ان اعرفك، هو من قام بتربية عائلتي بعد ان مات والداي، وكان السبّاق لطلب الوفاء مني.»

عاشت أليكس طوال حياتها وهي تدرك معنى الاحساس اليوناني بما يتعلق بكرامة العائلة. كان بامكانها تفهم الوضع، حتى وان كانت لا تستطيع الصفح. استغلها بيرس ليسدد ديناً وبما انه فعل ذلك، فقد منحها ذلك الاخلاص. لقد فهمت الآن تماماً تلك الاشارة إلى الشاعر لوفليس. لو انه لم يكن رجلاً شريفاً لهذه الدرجة لما استطاع ان يحبها أكثر مما أحبها.

رفعت عينيها وقالت له: «يجب ان أكرهك.»

هز بيرس رأسه معترفاً بذلك وقال: «استحق ذلك.»

«يجب ان أقول لك انني لن اسامحك أبداً.»

لمعت العينان الزرقاوان وهما تنظران في عينيها وقال: «وهل تقولين لي ذلك، يا أليكس؟»

وأمسكت كلماتها من جديد، فلم تصبح مستعدة بعد لتوريط نفسها بشكل تام، وسألته: «كيف لي ان اتاكد ان شيئاً من ذلك لن يتكرر ثانية؟»

أجابها بيرس بقوة: «لأني أفضل ان اقطع ذراعي اليمنى على ان ادع أي ألم يصيبك، سواء مني أو من أي شخص آخر.» جعلت قوة تصميمه تلك التي ظهرت في كلماته رجفة تنبه تجري في جسدها.

لم تستطع أن تقاوم رفع يدها متحسسة ذقنها وقالت: «إلى درجة أن تضربني؟»

تجمد بيرس، ونظر بعينين كئيبتين إلى ذقنها، ورفع يده ليبعد يدها ويمرر يده برقة على الكدمة الباهتة وقال بصوت أجش: «اردتك ان تكوني بمأمن، يا أليكس.»

فتنهدت وقالت: «كان عليك ان تحاول التكلم معي، يا بيرس.»

أجابها بتحد: «لم اعتقد انك ستصغين، كما ترين، لقد افترضت انك كنت تشعرين بما أشعر به تماماً، فلو انك كنت ذاهبة لأي مكان خطر، لكنت لازمتك كما الغراء. هل كنت مخطئاً بما فعلت؟» ورقت نظرة عينيه عندما رأى وجهها قد شحب.

قالت: «لا.» ثم نظرت في عينيه وقالت: «هل امسكوا الرجل؟ هل أنت بمأمن الآن؟»

«هل اخبرك بات؟»

www.liilas.com

ردت عليه: «ظن انه من حقي ان اعرف. أجل، لكن كنت أفضل ان اسمع ذلك منك يا بيرس.»

تنهد وقال: «سامحيني، لكن كل ما فكرت به هو اخراجك من الجزيرة.»

تفحصته عيناها باحثة عن أي اثر لجرح وقالت: «هل أصبت بأذى؟»

قال: «لقد القت الشرطة القبض على الرجل قبل ان يصل إلي. كنت لأحضر إلى هنا سريعاً، لكن كانت هناك أسئلة يجب الاجابة عليها، وكان علي التحدث مع أخي.»

قالت: «لم أكن أعلم ان لديك أخاً.» متسائلة لان كانا سيتوافقان حقاً فيما كانت تفتقد معلومات أساسية كهذه.

ابتسم بيرس وكأنه قرأ افكارها، ثم قال: «عندما نكون أنا وأخي معاً نتبع المحادثة العادية غير ضرورية. لكن اعدك بأنا أخفي عنك شيئاً بعد الآن. لدي أخ وشقيقتان، وجميعهم ينتظرون لقاءك.»

دُهشت أليكس وسألته: «أتعني انهم يعرفون عني؟»

رفع كتفيه بلا مبالاة وأجابها: «كل شيء. اننا مقربون جداً من بعضنا البعض. لقد ساعدوني على الاستمرار عندما ساءت الأمور جداً. شقيقتاي تأملان ان تتوقفي أخيراً عن كرهي.»

كلماته تلك، جعلتها تطرح سؤالاً آخر في ذهنها فقالت: «ان كنت مصمماً على جعلي اكرهك عندما استغليتني للحصول على اسطول السفن التجارية، لماذا عدت واشتريته؟»

قال موافقاً بكآبة: «بات، من جديد.»

قالت بسرعة: «لا تلق اللوم عليه، كان يحاول تقديم المساعدة.» ثم تجهمت وسألته برقة: «ألم تخشَ ان اعرف ذلك من جدي؟»

أمسك بيرس يدها وطبع قبلة على كفّها قبل ان يجيبها قائلاً: «كنت أتمنى ان تفعلي، لكني عرفت انك لن تعرفي، ما كان بتراكوس ليخبرك اطلاقاً.»

«لكن لماذا لم تخبرني أنت بذلك عندما التقينا ثانية؟»

رفع كتفيه بلا مبالاة وأجابها: «أنا أيضاً لدي كبرياني يا أليكس. كنت أعرف انني قمت بعملي بشكل جيد جداً، وحتى أنا لا أستطيع ان اكشف كل أوراقي أمام امرأة تكرهني. لذا لم استطع اخبارك قط انني لم استطع العيش وفكرة مقايضتك تستبد بي، فعدت وأنا عازم جداً على قبول الخيار كاملاً. لم يتم بمحاربتي لكن بعواطفي التي تأكد من حقيقة شعوري نحوك واستغل ذلك لصالحه. وأنا حاربته. كنت تستحقين كل قرش دفعته ان كنت لا تعرفين ذلك.»

هزت رأسها بحزن قائلة: «إذاً، دفعت لهم ثمناً باهظاً.»

ودهشت عندما شد يده على يدها وقال: «ليس المال يا أليكس، الثمن الذي دفعته مقابل السفن كان أنت... أثمن من كل ما أملك. لقد تخليت عنك فقط لأني عرفت انه لن يهدأ لي بال قبل ان استردك ثانية.»

ثارت عاطفة أليكس وبلعت ريقها بصعوبة وهي تضع يدها على قميصه ناحية قلبه لتشعر بخفقانه. وقالت: «يا بيرس، ألا تشعر بأنك وضعت كبرياءك عند قدمي؟ بامكاني ان أدوس عليه بالطريقة التي دعوتني ان اقوم بها.»

قال: «لك كل الحق في فعل ذلك، لقد قدمت لك قلبي

www.liilas.com

وحياتي لكن إذا كان كبرياني هو ما تريدينه، فانه رهن اشارتك.»

«اعتقد... انه لن يفيدني بشيء عدم مسامحتك، لأنك لا تستطيع ان تسامح نفسك ومع ذلك لا استطيع إلا أن أسامحك، لأني احبك، وفي الحقيقة اني لم اتوقف يوماً عن حبك. لذا يا حبيبي ان كنت تحبني كما تقول يجب ان تسامح نفسك أيضاً. هذا ما أطلبه منك.»

وفجأة بدا وكأن العالم قد سكن من حولهما، ونظرت أليكس بشجاعة في العينين اللتين كانتا تشعان بعاطفة قوية تاقت لتراها فيهما. وسألها: «وان لم استطع يا حلوتي أليكس؟»

وعندئذ قالت: «عندها سأضطر لأن أحبك اكثر حتى تستطيع ذلك.» وانهت كلماتها بتنهيدة فيما ضمها بيرس بين ذراعيه ولفهما حولها بقوة وكأنه لن يدعها أبداً، لكنها لم تمانع. فها هما أخيراً بعد تأخر طويل جداً، قد عادا إلى حيث ينتميا وتشبثت به. لقد مرا عبر محنة لم يختاراها، أما الآن فقد أصبحا أحراراً لأن يتطلعا إلى المستقبل وليس إلى الماضي.

قال لها بيرس: «انك ترتعشين.» وضحك بقوة.

أجابته: «وأنت كذلك.»

هدأ بيرس قليلاً ورفع يديه المرتعشتين لتحيطا بوجهها وقال معترفاً: «اعتقدت اني فقدتك إلى الأبد هذه المرة.»

وأفلتت منها آهة، وقالت له: «كنت لأعود ولو لأكمك على لفتك.»

ضحك بيرس وقد عادت اليه تلك الثقة الكبيرة بالنفس

وقال لها: «انت يا مثيرة الفتنة الصغيرة، انها فكرة جيدة، لكني أفضل ان تقبليني بدلاً من ذلك.»

وجعلت كلماته الساخرة تلك عيناها تلمعان، وسألته: «هل تتوسل إلي، يا بيرس؟»

أجابها: «إذاً ما زلت تريدين ان تتقاضي حقك كاملاً بعد كل ما جرى؟»

حدجته بنظرة من تحت أهدابها وقالت: «في الحقيقة، اني بحاجة ماسة إلى حبك كحق كامل لي.»

أجابها بانشداه: «اني في الحقيقة أخشى ان المسك تقريباً.»

وكرد على ذلك رمقته بنظرة جذابة وقالت: «لكنك لا تخشى ان تتركني الرجل؟»

ضحك لكلماتها تلك وقال لها بتحدٍ: «لن أدعك ترحلين أبداً. اني قدرك يا أليكس. أيخيفك ذلك؟»

اعترفت له قائلة: «لا شيء يخيفني وأنا معك.»

وعندما رفع بيرس رأسه ادركت من تعابير وجهه كم كان عملاً صعباً بالنسبة اليه ان يكبت حبه في صدره. وكانت بسرعة تفقد السيطرة على عواطفها، لكنها لم تأبه، وتركت نفسها تسبح في بحر من اللامبالاة.

وليفيظها قال برقة: «ذكريني ان ارسلك بعيداً غالباً، ان كانت هذه هي الطريقة التي تستقبليني بها عندما أعود.»

ودفع عن وجهها خصلات رقيقة من شعرها.

غامت عيناها للحظة وقالت: «اياك ان تفعل ذلك بي ثانية، اطلاقاً يا بيرس.»

لوى قسمات وجهه وقال: «اعترف اني كنت مخطئاً، لكن

www.liilas.com

ذلك ما جعلتني أشعر به وكأنني أخشى ان افقدك فقلت ان علي ان أبعدك! سامحيني.»

طالما انها عرفت انه يحبها فانها مستعدة لأن تسامحه على أي شيء. فقالت له برقة: «اعتقد بأني أثبت لك انه ليس من السهل التخلص مني.»

اعترف لها بصوت أجش: «اعتقد اني لا أستطيع تصديق حظي هذا، لذا فاني أقرص نفسي لأتأكد ان هذه حقيقة وليس حلماً.» وطبع قبلة على جبينها وسألها: «أسعيدة؟»

تنهدت قائلة: «سعيدة بشكل لا يوصف.» قد يكون بيرس بإمكانه احداث اسوأ جرح، لكنه وحده يستطيع ان يجعلها تشعر بهذه السعادة.

نظر في عينيها للفترة طويلة وهو ما يزال يتنفس بتثاقل، وسألها: «وهل تصدقين اني احبك؟ أحبك بالرغم مما فعلته لقد أحببتك دائماً.»

تنهدت أليكس ثانية وقالت: «آه، نعم. انه التفسير الوحيد المنطقي.» ثم لمعت عيناها بابتسامة مشرقة وأضافت: «اني مسرورة لأني لم أعد مضطرة لأن أكرهك بعد الآن، ان ذلك أمر يصعب القيام به عندما تكون مغرماً في حب شخص ما. بيرس، أصحيح ان كل شيء قد انتهى الآن؟»

أومأ برأسه بوقار وأجابها: «كل ما أريده الآن هو ان انسى ما مضى. اني لا أحمل أية ضغينة لعائلتك. كنت بكل بساطة انفذ عهداً قطعته، ومن الآن فصاعداً كل وعودي ستكون لك ولعائلتنا.»

أمسكت أليكس يده وضمتها اليها، ثم تمتمت قائلة: «عائلة، يبدو ذلك جميلاً.»

فارتسمت على شفتيه ابتسامة وسألها: «هل اعتبر ان ذلك يعني انك ما عدت تتمنين ان أكون كشيء مغثٍ يمكنك سحقه تحت قدمك؟»

ضحكت وسألته: «هل قلت ذلك حقاً؟»

أجابها بغضب ساخر: «لقد فعلت وأكثر من ذلك بكثير.»

ولتغيظه قالت: «حسناً، كنت تستحق ذلك في ذلك الوقت.» ثم تنهدت عندما خطرت لها أفكار أخرى، وقالت: «انت أيضاً قلت أشياء. يوم اخذتني لترى جدي، ذكرتني انك لم تقل لي قط بانك أحببتني، انك لم تقل تلك الكلمات.»

تنهد بيرس أيضاً وقال: «كنت أعرف بأني لن استطيع قول تلك الكلمات وانكارها في ما بعد، لذا قلت لك انك لن تستطيعي ان تتركي عمق الشعور الذي أحمله لك في قلبي. قصدت ان اجعلك تعتقدين اني قصدت بذلك الرغبة بالانتقام، لكن الأمر كان دائماً كما ظننته في البداية، ان عمق ذلك الشعور كان الحب، يا أليكس لكني كنت مرغماً للتظاهر بعكس ذلك.»

إذاً، لم تكن مخطئة اطلاقاً. ومع ذلك كان هناك شيء ما زال يؤلمها كثيراً فسألته: «لماذا تزوجتني لليلة واحدة؟ أكان من الضروري حقاً ان تقفل ذلك المهرب بتلك الطريقة؟» غير مدركة عمق الألم الذي عكسه صوتها.

رغم ذلك استمع بيرس واغمض عينيه للألم، ثم أجابها: «لم يكن هناك مهرب قط. لم أكن مجبراً على الزواج منك، بل كنت بحاجة لذلك. كان ذلك ضرورياً يا حبيبتي، لأني اعتقدت انها المرة الوحيدة التي بإمكاني ان اعبّر فيها عن حبي، المرة الوحيدة التي استطيع ان اظهر لك خلالها كم

www.liilas.com

أحبيتك. كنت أريد ان أكون طيباً معك ورغم انني كنت أعرف ان ذلك قد يكون مصدر ألم فقط لكلينا. فيما بعد لم استطع ان أمنع نفسي من ذلك. فإن كان عليّ ان اعيش في العذاب والندم، إذاً فعليّ ان اتذوق طعم الهناء ولو لمرة واحدة.»

نظرت أليكس اليه، وقد اغتاظت من الطريقة التي ارغمه سؤالها للضغط على نفسه. رفعت يدها لتلمس خده والألم يملأ نفسها، وعلى الفور عاد بافكاره ليكون معها من جديد.

قالت له: «كان ذلك هو الهناء بالنسبة لي أيضاً يا بيرس. لطالما كانت السعادة دائماً معك.»

هز رأسه وقال: «اعرف انني آلمتك كثيراً. لكنني أنوي ان أعوض عليك كل لحظة ألم مررت بها.»

[illegible] كانت [illegible] لتعويضه، وأن كيف تخطط لأن تفعل ذلك؟»

أجابها بصوت أجش: «امنحيني دقيقتين بعد وسأفكر بشيء ما.»

قالت بتحد: «هل تكفي بضع دقائق؟»

فصرخ قائلاً بغضب ساخر: «أليكس مارتينو ألا تخجلين؟» رغم ان عينيه كانتا تنقلان رسالة مغايرة...

تمت

www.liilas.com